

كلمة صغيرة

إن مجلة البيان مجلة لها منهج ، ونحرص أن تكون تعبيراً عن هذا المنهج ، ومن منهجها أن تسد مقالاتها والفكر الذي ينشر فيها زاوية في واقع المسلمين ، ونحاول الوفاء بذلك قدر ما تسمح لنا الظروف المحيطة بنا ، ورأس المال الذي نعتز به ونلجم إلينه دائمًا هو قرأونا الذين يحملون هذا العبء علينا ، ولنا في مشاركتهم وتشجيعهم وتقديرهم لقدرنا وإنصافهم وعذرهم ما يهون علينا الصعوبات ، ويمدنا بالعزם وقوة الإرادة. وعندما تقوى هذه الصلة بين المجلة وبين قرائها نكون قد حققنا شيئاً من النجاح وتذوقنا لذته.

المحرر

الافتتاحية الحذر الحذر من أعداء الإسلام

عبد القادر حامد

ظنَّ كثير من أعداء الله أن المسلمين لن تقوم لهم قائمة بعد نشوة الانتصار التي حققها الغربيون على المسلمين ، فأزالوا تأثيرهم السياسي من الوجود، وقضوا على آخر طلال قوتهم - وهو الدولة العثمانية - وبينما ينظر هؤلاء بالنظر البشري القاصر ؛ ويذنون الأمر بميزان اللحظة العابرة ؛ فإن المسلم له ميزان آخر وتقويم مختلف، وهذا الميزان وذاك التقويم مستمد من عقيدته التي يستقيها من قرآن ربه وحكمة نبيه، فهو يعتمد أن الأيام دول ، وأن الحق غالب إن حمله من يؤمن به ويثبت عليه ، وأن الله ناصر دينه بعز عزيز أو بذل ذليل ، وأنه تعالى ((أنزل من السماء ماءً فسألت أوديَة بقدرهَا فاحتمنَ السيلُ زَبَداً رَابِباً ومِمَّا يُوفِدونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلْيَةً أَوْ مَتَاعَ زَبَداً مَثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَإِمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَإِمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ)) [الرعد: ١٧].

وبعد أن ظنَّ أعداء الإسلام أن الأرض قد خلصت لهم ؛ وأن لاأمل من عودة الروح إلى جنة هذا الجبار المجنل الذي يسمونه - علي ماض - «العالم الإسلامي»؛ يفاجئون بأن ما حسبوه قد أصبح جنة هامدة لم يمت حقيقة ، وعلامات حياته تشاهد في كل مكان.

ومن أظهر هذه العلامات ما شهدته العالم على أرض أفغانستان ، حيث عجز جبروت الشيوعية أن يخضع هذا الشعب الفقير - إلا من العزة الإيمانية - فخرج الروس وأذنابهم يجررون أنديال الهزيمة والخيبة ، بل ولم تقم لهم قائمة لا في أفغانستان وحدها ؛ بل على المسرح العالمي بأسره. بعض المرجفين من أنصار الشيوعية في بلادنا ، وأخوانهم من العلمانيين وأعداء الإسلام ، على كافة الأوانهم ؛ يتمضّعون بكلمات تهويّنية ، وإشاعات تخذيلية ، من أن الأفغان لم ينتصروا إلا

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

بالسلاح الغربي الذي أمدتهم به أميركا، ليخلصوا إلى نتيجة تقول: إن الغرب وأميركا والرأسمالية هي التي انتصرت على الشيوعية ، وليس الإسلام .
وهذه دعوى علّاء الغرب في بلادنا !

أو أن الإسلام كان وما زال عميلاً لأميركا ، وهذه دعوى أيتام الشيوعية في بلادنا !
ونحن نقول: إن بلاد المسلمين بمصادرها وثرواتها أصبحت مجالاً حيوياً يستغله غير المسلمين
لمصالحهم ، وعندما نقول «ثروات» لا نعني البترول والمعادن والثروات الاقتصادية وطرق
المواصلات فحسب ؛ بل نعني كل ما تذخره هذه الأرض الإسلامية من أفكار وعوائد وأموال. إن
الغربيين يسخرون كل شيء ليجنوا من ورائه الأرباح المادية ، فيصنعون الأفكار ويعيدون تعلييبها
كما يعلّبون الفواكه والخضار والأدوية ، ويستثمرون العادات ويتاجرون بالمارسي والكوراث كما
يتاجرون بالمواشي والمواد الخام ولذلك فلا يستغرب المسلم الحصيف استغلال هؤلاء لكل شيء ،
حتى الإسلام ، كعقيدة ودين ، والمسلمين ، كبشر من لحم ودم وعواطف ومشاعر.

وإذا؛ فلا يجادل المسلم العاقل في حرص القوى الخارجية على استثمار الأزمات والكوراث التي تحل
بالمسلمين ، بل لا يجادل في أن أكثر هذه الأزمات والكوراث هي من صنع هؤلاء ومن اختراعهم ،
ولكنه يتعرض على أن يُجرّد من كل جهد نافع، وتغتصب منه تضحياته، وتسرق منه نتائج جهاده بهذه
الأساليب الخبيثة، إن السلاح عنصر مهم في معادلات النصر والهزيمة ، ولكنه في النهاية ليس
هو الذي يحسم ، بل الحاسم هو الإنسان الذي يستعمله. والذين يشيعون أن السلاح هو كل شيء
يمهدون الطريق لهيمنة صانعي السلاح ، ويقتلون الإرادة الإنسانية والعزيمة الجهادية في صدور
المسلمين، فيسلّس قيادهم لكل طامع، ويضيّقون - إلى إيمانهم بالحق الأزلي - إيماناً باطلًا بديمومة
الباطل.

وأما أن المسلمين علّاء لأميركا فهذه فريدة ساقطة، لا لسقوط أصحابها فحسب ؛ بل لما يشاهده
الناس من تحامل أميركا على المسلمين ، وخذلانها قضياباهم المصيرية الحقيقة في كل مكان : في
فلسطين ، وفي أفغانستان نفسها ، وفي البوسنة والهرسك.. وأما ما يشاهده المتتابع للأحداث مما
يحدث في أفغانستان ، من خلافات ومعارك بين فئات الأفغان فهذا أيضاً من دلائل هذا الدين
وعلامات صدق محمد عليه الصلاة والسلام ، فقد أخبر صلى الله عليه وسلم- أن الخلف الذي يقع
في أمري من السنن الكونية ، ففي صحيح مسلم ، عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله قال : «سألت
ربى ثلاثة ، أن لا يهلك أمري بالغرق فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلك أمري بالسنة(١) فأعطانيها ،
وسأله أن لا يجعل بأسمهم بينهم فمنعنيها»(٢). وعلى هذا ففي الخلاف بين المسلمين أو تجاهله
مكابرة ، ولكن من الظلم أيضاً تضخيم هذا الخلاف ، وجعله علامة فارقة للمسلمين ، و شيئاً
ميؤوساً من علاجه وتحفيض آثاره ، وكلما ابتعد الناس عن تعاليم النبوة ، وحكموا بينهم الأهواء
والعصبيات والشهوات ، تظالموا واعتدى بعضهم على بعض ، وكلما ثابوا إلى نور النبوة ، واهتدوا
بهدي الإسلام الصحيح ضاقت بينهم شقة الخلافات ، واتجهت طاقاتهم إلى دحر الكفر وأعوانه ،
ونصر الحق وتنبيه أركانه.

هذه من جهة، ومن جهة ثانية فلو ترك الأفغان دون تدخل خارجي لضاقت شقة الخلافات بينهم ،
ولكن أصحاب مصالح كبار يتذابونهم ، فأمريكا من جهة ، وباكستان من جهة ، وإيران من جهة
، وروسيا من جهة ، وزيد من جهة ، وعيid من جهة! كل يريد أن يكون له حظ من هذه الفريسة التي
لا يمكن أن تشبع الجميع.

إن كل هذا التشويش والشغب في وجه المسلمين لا يقصد منه إلا أن لا يفكروا في شيء اسمه :
«جهاد» وأن يرضوا بواقعهم ، ولا يطمحوا إلى التغيير والتحسين ، ولماذا يعنون أنفسهم هذا العناء

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

؛ وغيرهم يصنع لهم ، ويزرع لهم ، ويجهد لهم ، ويفكر عنهم ولهم؟! إن رسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- قال : «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رحمي ، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم»^(٣). ماذا يفعل المسلمون بهذا الحديث؟ هل نسخ العمل به؟ ما الناسخ له؟ هل يفكرون في مضمونه ويعرضون واقعهم عليه؟ وهل ينظرون إلى الأمم التي يتحدر منها هؤلاء المرجفون وأعوانهم ؟ أليس سلوكهم وأعمالهم على المسرح العالمي تطبيقاً لهذا الحديث؟!

هذه هي الولايات المتحدة ودول أوروبا تقيم من القواعد العسكرية لحراسة مصالحها = أي سلب الشعوب حقوقها المادية والمعنوية ؛ وتحرك أساطيلها وجيوشها عندما تشعر بأدنى تهديد لهذه المصالح المدعاة ، ونحن - المسلمين - نُنْخَطُ من أرضنا ، بل وتسحب هذه الأرض من تحت أقدام أولادنا وبناتنا ونسائنا ، ويطلب منا أن : دعوا الاعتراض ، وإياكم وما يسمى بالجهاد ، بل دعوا مجرد التفكير فيه! ورسولنا -صلى الله عليه وسلم- يقول : «من مات ولم يغز ، ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق»^(٤) ، ويقول أيضاً : «ستفتح عليكم أرضاً ، ويكتفيكم الله ، فلا يعجز أحدكم أن يلهموا بأسمه» «انظر إليه -صلى الله عليه وسلم- كيف يحضر المسلمين أن يلهموا ويلعبوا وقت السلم بأدوات الحرب ، حتى لا ينسوا الجهاد ويخذلوا إلى الدنيا ، فتضعف همتهم ، ويكونوا لقمة سائغة للضواري من البشر.

إن أوضاع المسلمين اليوم من الحساسية بقدر لا تسمح لعرض هذه الأفكار على الناس ، ويجد كثير من المتخوفين فيها سبباً لكتمان الحق وتضليل المسلمين ، وإننا لسنا من المتعلجين ودعاة الفوضى ، الذين يتتجاهلون الأخذ بالأسباب الصحيحة لتعظيم واقع الأمة ، وطموحنا إشاعة الفكر الجهادي المضبوط بالعلم الصحيح والرأي السديد بين الأفراد والجماعات وإن إشاعة هذا الفكر سيكون دواء لكثير من الأمراض الاجتماعية المتفشية ، كما ستكون خيراً للمسلمين على كل حال ، في الشدة والرخاء ، وفي ذيابهم وأخرتهم. وإذا كان من الصعوبة بمكان تنفيذ الجهاد بمعناه المتبدّل - وهو جهاد الكفر وأعوانه بالسلاح - لما لا يخفى من فقدان الأسباب لذلك - وأهمها الإرادة والعزمية - فإن أمامنا أبواباً كثيرة تمهد لذلك ، وقد لا نقل عنه أثراً مثل : الجهاد بالمال ، وإعانة المسلمين الذين يلاقون العسف والجور ، وتفرض عليهم الفتنة في دينهم فرضاً ، ويدفعون عن بلادهم ، ويجردون من أموالهم ، وكذلك الجهاد في نشر العلم ، والوعي في صفوف المسلمين ، وتجميدهم على دين الله ، وإقامة المؤسسات القوية الدائمة التي تخدم ذلك. وإن أضعف الإيمان أن نحدث أنفسنا بالغزو ، فمن يدري ماذا يخبئ لنا الغد ، إن ما حولنا من أحداث يجعل هذا من أوجب الواجبات ، وتجاهله والسكون إلى الراحة والحياة السهلة انتحار ما بعده انتحار.

إن هؤلاء الصرب الصليبيين المتوحشين كانوا يُعدُّون لهذه الأفاعيل التي فعلوها بال المسلمين منذ زمن بعيد ، وكان في أحداث تاريخهم القريب عبرة وأي عبرة للMuslimين ، ولكن - يا للأسف - إن المسلمين يعيشون دائماً ضحية الساعة التي هم فيها ، وتقديرهم بالماضي ليحتاطوا من أحداثه المستقبلي قليل ، وإن كثيراً من أبناء جلدتنا من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يعتقد (ولا يظن) أن أوروبا قد ودعت الهمجية منذ قرون وتحضرت ، بل هي الآن تعلم العالمين الحضارة! بل إذا ضربت له مثل الصرب لوى شدّقه وقال : الصرب وليس باقي الشعوب الأوروبية ، وماذا يشكل الصرب بالنسبة لأوروبا؟ ولو فكر قليلاً لعلم أن الذي يرى المذابح والكوارث أمام عينيه ولا يهتز لها ويهب لمنعها - وهو قادر - أشد وحشية وأمّوت (٥) قلباً من يرتكبها!

لا نريد الاسترسال في وصف حدث من أحداث الساعة تتحدث عنه وسائل الإعلام كل يوم؛ وإنما نقول للمسلمين في كل مكان : في الأقاليم الرخية ، وفي الأقاليم المنكوبة ، في المناطق التي

هم فيها أغلبية، والأخرى التي هم فيها أقلية. حيث يسوسون أمرهم ويستقلون بشؤونهم - ولو افتراضياً - وحيث يساسون من قبل غيرهم بسياسة العصا الغليظة ، ويضربون ضرب غرائب الإبل(٦).

إياكم ونسيان أن العدو متربص بكم من كل جانب ، بل كونوا على ذكر أنكم مخترقون من داخلكم، وتصمُّم لأسماعكم أصواتُ النفاق والمنافقين ، ويزيدكم ضعفاً إلى ضعفك إرجاد العلمانيين الحاقدين. حدثوا أنفسكم بالغزو والجهاد ، فلعل الله ينظر لكم ، ويرحمكم بما يرحم به عباده ، حيث يختار لهم ما قد لا يمر لهم ببال. من كان يظن أن الله سيمحو الشيوعية ويفكك دولتها دون أو يوجَّف عليها خيل ولا ركاب؟! ولو توقع ذلك المسلمين - من كانوا تحت نير الشيوعية ومن كانوا غير ذلك - وأعدوا له عدته ؛ أما كان حالهم سيكون أفضل وأحسن؟! الحمد لله على كل حال ، يحفظ دينه ، ويعيده بعز عزيز أو بذل ذليل ، نسأله أن يعز دينه ، وينصر عباده ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

الهوامش :

١ - القحط .

٢- الحديث مروي بالألفاظ متقاربة عن: معاذ، وثوبان، وخالد الخزاعي، وخباب بن الأرت، وابن عمر. ولتخرجه راجع: منهاج السنة ٢٣٠/٦ تحقيق محمد رشاد سالم.

ومسند أحمد (ط الحلبي) ٤٧٥، (ط المعرف) ٣٦٠-٦١، ٨٦ ، صحيح مسلم ٤٢١٥-٤٢١٦، صحيح الجامع الصغير ٣٠٩/٢ ، سنن الترمذى ٣١٩/٣ .

تفسير ابن كثير، سورة الأنعام، آية: ٦٥ ، فقد استقصى روایاته كلها تقريباً.

٣- الحديث مخرج في : إرواء العليل في تخريج أحاديث منار السبيل رقم ١٢٦٩ .

٤ - صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٥٦، وقال النووي: إن ترك الجهاد أحد شعب النفاق، وفي هذا الحديث أن من نوى فعل عبادة فمات قبل فعلها لا يتوجه عليه من الذم ما يتوجه على من مات ولم ينويها.

٥- لا يصاغ اسم التفضيل وفعل التعجب من الفعل : (مات) لأنه غير قابل للتفضيل والتفاوت ، لأن الموت واحد ، وإنما تختلف أسبابه. إلا إذا أريد بالموت الضعف أو البلادة وقلة الحسن مجازاً كمثلنا هنا فيجوز أن نقول : فلان أموت قلباً من فلان ، وما أموت قلبه!

٦- مأخذ من قول الحاج : (...) ولا ضربنكم ضرب غرائب الإبل). قال ابن الأثير: هذا مثل ضربه لنفسه مع رعيته ، يهددهم ، وذلك أن الإبل إذا وردت الماء ؛ فدخلت عليها غريبة من غيرها ، ضربت وطردت ، حتى تخرج عنها. (لسان العرب)

فطر الله الخلق على الحق

عثمان علي حسين

معنى الفطرة في اللغة(١):

الفطرة من فطر الشيء، يفطره فطرًا، فانفطر، وفطره، أي شقه، وتقطر: تشدق، فالفطر: الشق. وجمعه: فطور، ومنه فطر ناب البغير، إذا طلع، وفي التنزيل قوله (تعالى): ((إذا السماء انفطرت)) [الأنفطار:١]، أي انشقت، وفي الحديث: عن عائشة (رضي الله عنها): «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه...»(٢).

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

وفطر الله الخلق، يفطرهم : خلقهم وبدأهم ، فالفطر - أيضاً - الابتداء والاختراع ، كما قال تعالى: ((الْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)) [فاطر: ١] أي خالقهما ومبتدئهما^(٣)، وكما قال ابن عباس (رضي الله عنهما): «كنت لا أدرى ما ((فاطر السموات والأرض)) حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما: أنا فطرتها ، أنا بدأتها»^(٤).

والفطرة - أيضاً - الخلقة ، أنسد ثعلب :

هون عليك: فقد نال الغنى رجل في فطرة الكلب، لا بالدين والحسب

أي في خلقة الكلب.

فأصل كلمة «فطر» يرجع إلى التشقق، والابتداء، والخلق، والمعنىان الأخيران (الابتداء والخلق) يناسبان المعنى الاصطلاحي ، كما سبقت ذلك.

معنى الفطرة في الاصطلاح :

وردت لفظة «الفطرة» مصدراً في القرآن الكريم في آية واحدة هي قوله (تعالى): ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلّٰهِ حَنِيفاً فِطَرَ اللّٰهُ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) [الروم: ٣٠]، وإن كان أصل الكلمة قد ورد بصيغ أخرى - غير صيغة المصدر - في آيات كثيرة ، ترجع معانيها إلى الخلق والابتداء والتشقق ، وهي معانيها اللغوية - كما تقدم - . أما السنة ، فقد ورد لفظ «الفطرة» مصدراً في أحاديث كثيرة ، أشهرها حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : «قال النبي صلى الله عليه وسلم- كل مولود على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جداعا»^(٥) وفي رواية قال أبو هريرة (رضي الله عنه) في آخر الحديث : «اقرؤوا إن شئتم: ((فِطَرَ اللّٰهُ النَّاسَ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ)) [الروم: ٣٠]^(٦).

وقد اختلف أهل العلم في المراد بالفطرة المذكورة في الآية، وفي حديث أبي هريرة خاصة^(٧) على مذاهب ، أذكر الصحيح الذي تسنده الأدلة : وهو أن الفطرة الإسلام ، وهو أشهر الأقوال وأصحها وهو المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل^(٨). واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة منها: ١- قوله (تعالى): ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلّٰهِ حَنِيفاً فِطَرَ اللّٰهُ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) [الروم: ٣٠]، قال الحافظ ابن كثير في معناها: «فسد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ، ملة إبراهيم، التي هداك الله لها ، وكم لها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة ، التي فطر الله الخلق عليها ، فالله (تعالى) فطهر خلقه على معرفته وتوحيده ، وأنه لا إله غيره»^(٩).

وقال الضحاك في معنى حنفاء: «أي حجاجاً» وقال الحسن : «الحنيفية : حج البيت» وقال مجاهد: «مسلمين متبعين» ، قال أبو عمر: «وهذا كله يدل على أن الحنيفية الإسلام» واستدل بقوله تعالى : ((ولَكِنَّ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِمًا)) [آل عمران: ٦٧] ، قوله الشاعر (وهو الراعي النميري):

أخلية الرحمن إنا معشر حنفاء نسجد بكرة وأصيلاً

عرب نرى الله في أموالنا حق الزكاة منزلًا تنزيلاً^(١٠)

وقال أبو عمر: «الحنيف في كلام العرب : المستقيم المخلص ، ولا استقامة أكثر من الإسلام»^(١١). و«فطرة» منصوبة بفعل مقدر ، أي اتبع فطرة الله ، وقيل منصوبة على المصدرية التي دل عليها الفعل الأول (أقم) ومعناها: فطر الله الناس على ذلك فطرة ، وعلى كل تقدير تكون إقامة الوجه حنيفًا وهو فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وأن ذلك مأمور باتباعه إما صراحة ، أو تلميحاً ، لأنه جاء في صيغة مدح.

قوله : ((لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ)) ذكر ابن كثير (رحمه الله) أن للعلماء في تأويلها قولين:

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

الأول : أنها خبر بمعنى الطلب ، أي لا تبدلوا خلق الله ، فتغيروا الناس عن فطرتهم ، ثم قال الحافظ : «وهو معنى صحيح».

الثاني : أنها خبر على بابه ، وهو أنه (تعالى) ساوي بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة ، لا يولد أحد إلا على ذلك ، ولا تفاوت بينهم في ذلك ، وهذا هو ظاهر النص (١٢).

وعقد الإمام البخاري (رحمه الله) في صحيحه : باب : لا تبدل لخلق الله : لدين الله ، (خلق الأولين) : دين الأولين ، والفطرة الإسلام ، ثم روى حديث أبي هريرة - بعد الترجمة - ما من مولود إلا يولد على الفطرة.. الخ (١٣). وصنف البخاري - هذا - يدل على أن الفطرة عنده الإسلام ، في الآية والحديث جميعاً.

وقال ابن عباس والنخعي ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة وقادة ، والضحاك ، وابن زيد في قوله تعالى : ((لا تَبْدِيلَ لِخُلُقِ اللَّهِ)) أي لدين الله (١٤).

وقوله تعالى : ((ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ)) قال ابن كثير : «أي التمسك بالشريعة والفطرة المستقيمة ، هو الدين القيم المستقيم» (١٥).

٢ - حديث أبي هريرة : «كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جداعاً» ، وفي رواية : «تنتج بهيمة جماعه هل تحسون فيها من جداعاً» ، ثم يقول أبو هريرة : «اقرءوا إن شئتم ((فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ)) . وفي رواية سأله عن أطفال المشركين ، أي من يموت منهم صغيراً ، فقال : «الله أعلم بما كانوا عاملين».

ودلاله هذا الحديث على أن الفطرة الإسلام من وجوه :

الأول : الروايات المختلفة للألفاظ المتفقة المعاني ، مما يجعل بعضها مفسراً لبعض ، مثل : «ما من مولود إلا وهو على الملة» (١٦) ، وفي أخرى : «إلا على هذه الملة» (١٧).

الثاني : قول أبي هريرة في آخر الحديث : «اقرءوا إن شئتم ((فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ)) مما يبين أنه فسر الحديث بالأية ، وقد أجمع العلماء على أن المراد بالفطرة في الآية الإسلام (١٨) ، وتفسير الراوي له قيمة في هذا المقام ؛ لأنه أعلم بما سمع.

الثالث : سؤال أبو هريرة عن رجل عليه رقبة مؤمنة ، أيجزء عنه الصبي أن يعتقه وهو رضيع ، فقال : «نعم ، لأنه ولد على الفطرة» يعني الإسلام (١٩).

الرابع : قال ابن شهاب الزهري : «يصلى على كل مولود متوفى وإن كان لغيبة ؛ من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام» (٢٠) وأفتى الزهري رجلاً عليه رقبة مؤمنة أن يعتق رضيعاً ، لأنه ولد على الفطرة (٢١).

الخامس : قال الإمام أحمد (رحمه الله) : «من مات أبواه وما كافران حكم بإسلامه» واستدل بحديث : «كل مولود يولد على الفطرة..» فدل على أنه فسر الفطرة بالإسلام (٢٢).

السادس : ذكر الحديث التغيير لملل الكفر دون ملة الإسلام ، فعلم أنه يتحول عن الإسلام إلى غيره ، بفعل الأبوين ، أو غيره.

السابع : قوله في الحديث : «هل تحسون فيها من جداعاً» أي أن البهيمة خلقت سليمة ، ثم جدعت بعد ذلك ، فكذلك الولد يولد سليماً من الكفر ؛ مؤمناً مسلماً ، ثم يطرأ عليه الكفر بعد ذلك ، فالعيب الذي طرأ على البدن ، يقابل العيب الذي طرأ على الدين ، وهو الكفر.

الثامن : لو لم يكن المراد بالفطرة الإسلام ، لما سألوا عقب ذلك عن يموت من أطفال المشركين وهو صغير ؛ لأنه لو لم يكن هناك ما يغير تلك الفطرة لما سأله ، والعلم القديم وما يجري مجرأه لا يتغير.

هديّة لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

٣ - حديث عياض بن حمار المجاشعي عن النبي صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه وفيه : «وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتقهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحلال لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً» (٢٣) وتقديم تفسير الحنيف بالمستقيم المخلص ، وأنه لا استقامة أكثر من السلام.

٤ - الفطرة الإسلام ، وهو قول عكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، والنخعي ، والضحاك وقتادة (٢٤).

المعترضون على تفسير الفطرة بالإسلام :

لخص أبو عمر اعتراف المنكريين على تفسير الفطرة بالإسلام ، في أن الإسلام والإيمان : قول ، واعتقاد ، وعمل ، وهذا معدوم من الطفل ، لا يجهل ذلك ذو عقل (٢٥).
والجواب : مما ينبغي علمه أنه إذا قيل كل مولود يولد على الفطرة ، أو على الإسلام ، أو على هذه الملة ، أو إنه خلق حنفياً ، فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده ، فإن الله تعالى يقول : ((وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً...)) [النحل: ٧٨] ، ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الإسلام ، ومحبته ، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بحالقه ، ومحبته وإخلاص الدين له ، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئاً فشيئاً ، بحسب كمال الفطرة ، واستعدادها ، وسلامتها من المعارض؛ فكل مولود يولد على الإقرار بفاطره ، ومحبته والإذعان له بالعبودية ، فلو خلّي وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره ، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنـه من الأغذية والأشربة ، كما قال تعالى: ((الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)) [طه: ٥٠] ، فهو سبحانه خلق الحيوان مهتمـياً إلى حب ما ينفعه وجـلـبه ، وبغضـ ما يضرـه ودفعـه ، ثمـ هذاـ الحـبـ والـبغـضـ يحصلـ فيـهـ شـيـئـاًـ فـشـيـئـاًـ، بـحـسـبـ حاجـتـهـ ، لـكـنـ قدـ يـعـرـضـ لـبعـضـ الـأـبـدـانـ ماـ يـفـسـدـ ماـ وـلـدـ عـلـيـهـ مـنـ الطـبـيـعـةـ السـلـيـمـةـ وـالـعـادـةـ الصـحـيـحـةـ ، وـهـكـذـاـ مـاـ وـلـدـ عـلـيـهـ مـنـ الفـطـرـةـ ، وـلـهـذـاـ شـبـهـتـ الـفـطـرـةـ بـالـلـبـنـ ، بـلـ كـانـتـ إـيـاهـ فـيـ تـأـوـيلـ الرـوـيـاـ ؛ وـذـلـكـ لـمـاـ عـرـضـ عـلـيـهـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـيـلـةـ إـسـرـاءـ الـلـبـنـ وـالـخـمـرـ ، فـاخـتـارـ الـلـبـنـ ، فـقـيـلـ لـهـ: «أـصـبـتـ الـفـطـرـةـ ، أـوـ هـدـيـتـ الـفـطـرـةـ» (٢٦)، فـمـنـاسـبـةـ الـلـبـنـ لـبـدـنـهـ ، وـصـلـاحـهـ عـلـيـهـ ، دـوـنـ غـيرـهـ ، كـمـنـاسـبـةـ الـفـطـرـةـ لـقـلـبـهـ ، وـصـلـاحـهـ بـهـاـ دـوـنـ غـيرـهـاـ (٢٧).

الهوامش :

١- انظر لسان العرب ٥٥/٥-٥٦ ، مادة فطر.

٢- رواه البخاري في صحيحه ٥٨٤/٨ ، رقم ٤٨٧٣.

٣- انظر: الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٤/٣١٩.

٤- تفسير ابن كثير ٦/١٩٥ ط الشعب.

٥- رواه البخاري في صحيحه ٣/٤٥-٤٦ ، رقم ١٣٨٥.

٦- صحيح مسلم ٤/٤٧٢ رقم ٢٦٥٨.

٧- لأن هناك أحاديث ذكرت فيها الفطرة ، ولم يختلفوا في أن المراد بها الإسلام ، مثل حديث:

«الفطرة خمس (أو خمس من الفطرة): الختان والاستحداد ، وتقليم الأظافر ، وتنف الإبط ،

وقص الشارب» رواه مسلم في صحيحه ١/٢٢١ رقم ٢٥٧.

٨- انظر: تجرید التمهيد: ص ٢٩٧ ، ودرء تعارض العقل والنقل ٨/٤٠ ، وشفاء العليل ص ٣٨٣ وما بعدها.

٩- تفسير القرآن العظيم ٦/٣٢٠ (طبعة الشعب).

١٠- انظر: تجرید التمهيد ص: ٢٩٩.

١١- انظر: درء تعارض العقل والنقل ٨/٣٦٩ ، ٣٧٠.

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

- ١٢- انظر: تفسير القرآن العظيم ٤٣٠/٦ (مطبعة الشعب).
- ١٣- صحيح البخاري ٥١٢/٨ ، حديث رقم : ٤٧٧٥ .
- ١٤- انظر: تفسير ابن كثير ٣٢٢/٦ (طبة الشعب).
- ١٥- صحيح مسلم ٢٠٣٨/٤ ، رقم ٢٦٥٨ .
- ١٦- حكاہ أبو عمر في تحرید التمهید ص : ٢٩٧،
- ١٧- انظر: تحرید التمهید ص : ٣٠٠،
- ١٨- رواه البخاري في صحيحه ٢١٩/٣ رقم ١٣٥٨ وإن كان لغية ، أي من ولد الزنا.
- ١٩- انظر: تحرید التمهید ص : ٣٠٠،
- ٢٠- انظر: تحرید التمهید ص : ٣٠٠،
- ٢١- انظر: فتح الباري ٢٤٨/٣ رقم ٢١٩٨ .
- ٢٢- انظر: مسلم ٢١٩٧/٤ ، رقم ٢٨٦٥ .
- ٢٣- انظر: تحرید التمهید ص : ٢٩٨،
- ٢٤- انظر المرجع السابق ص : ٣٠٠،
- ٢٥- صحيح البخاري ٤٧٦/٦ رقم ٣٤٣٧ .
- ٢٦- انظر: درء تعارض العقل وبيانه ٣٨٤-٣٨٣/٨ .

تربيۃ
الحركة التعليمية في فلسطين
والسقوط في فم الأفعى

سلیم عبد الرحمن الزغل

قبل الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧م كانت. هذه المناطق تخضع للحكم الأردني والحكم المصري ؛ فكانت غزة تتبع الحكم المصري تعليمياً ، وكانت الضفة الغربية تتبع الحكم الأردني تعليمياً كذلك؛ وكانت الجهة صاحبة الشأن في ذلك في الضفة الغربية مثلاً - هي وزارة التربية والتعليم ؛ هكذا سميت دائماً ، ولو أنه كان يطلق عليها (وزارة المعارف) في بوادر الحركة التعليمية في الأردن وفلسطين؛ إذن التربية قبل التعليم؛ هكذا استمر الشعار مرفوعاً من الجميع ؛ لأنّه مطلب ينسجم مع الفطرة ويتلاءم تماماً مع معايير العقول مما اختلفت توجهاتها وتبينت مشاربها ، إذ ما قيمة العلم والعلماء إذا ما انحطت الأخلاق وديست القيم وتبدلت المرءات، فهذا هو المربي الأول وأستاذ الأمم وكأني بصوته لا زال يدوّي في سمع الزمن (إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق) ، ولقد زakah ربه مادحاً له بقوله ((وإنّك لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ))، عليه الصلاة والسلام. من أجل ذلك كانت التربية أولاً ثم يأتي التعليم ، وبهذا المفهوم تخرجت الأجيال من مدراس فلسطين، حيث كان الرجل منهم أستاداً في مكارم الأخلاق قبل أن يكون عالماً متخصصاً، وتمضي السنون ويأتي عام ١٩٦٧م وينتكس العرب - وما أكثر انتكاساتهم - وتدخل البلاد في فم الأفعى ويدأ التخطيط الصهيوني الماسوني بجعل (قلاع التربية والتعليم) أو كاراً خاوية من كل المعاني التي لا تصنع الرجولة والرجال ، وجدوا لذلك كل الطاقات وسخروا له كل مكرهم وخبثهم ، وبدأ الصرح يهوي ويتردى .. ولا زال يهوي ، ولكن لدينا إيمان راسخ لا يتزعزع كالشروعاني بأنه لابد أن يعود أقوى مما كان رغم السذود.. رغم العواصف والقيود.

أهم الأسباب ..

التي أدت إلى دخول التعليم في المناطق المحتلة في نفق مظلم :

١ - ربط أركان العملية التعليمية برمتها بالمخابرات الإسرائيلية (الشين بيت) ، لأنها مسألة تتعلق بتربية النشاء وتنشئة الجيل ، لذلك حرص الحكم الإسرائيلي على الإمساك بكل خيوطها منذ البداية ، ليوجه النشاء حسبما يريد وكيفما يشاء ، فالمسؤول عن التعليم ضابط عسكري ، والجهة صاحبة الاختصاص هي (إدارة شؤون التعليم) وهي إدارة عسكرية كل أقطابها من الضباط العسكريين.

٢ - تعديل المناهج الدراسية واستحداثها وفق خطة صهيونية خبيثة ترمي إلى :

• تشويه التاريخ الإسلامي.

• النيل من عظام الأمة ورورادها وصانعي مجدها وعزتها بتجاهلهم أو بتشويه شخصياتهم بصورة خفية - في أذهان النشاء.

• المبادرة إلى حذف الآيات القرآنية في مختلف المناهج التي تتطرق إلى الحديث عن اليهود وكشف عقيدتهم وبيان مواقفهم والتنديد بها.

• العبث بالخرائط المنهجية بطريقة تخدم الرؤية الصهيونية ، فقد استبدل اسم إسرائيل باسم (فلسطين) وتم إطلاق أسماء يهودية على مناطقها - تكون بديلة للعربية - مثل يهودا والسامرة ، وكذلك استبدال أسماء مدن فمثلاً القدس أصبحت (أورشليم) ونابلس (شكيم) والخليل (حبرون) وطولكرم (كفار شالوم) وأريحا (أريحا) على غرار مناطق احتلال عام ١٩٤٨م فقد اسقطت الأسماء العربية برمتها هناك ، حتى إن الجيل الناشئ هناك لا يكاد يعرف شيئاً عن أسمائها العربية إلا النزير البسيير ، كما تم العبث بحدود دول المنطقة في تلك الخرائط.

• مسخ المناهج التي تدرس التربية الإسلامية لطلاب المدارس بصورة غثة لا تسمن ولا تغني من جوع ، ولا تحقق المستوى الأدنى من المعرفة لطالب ينتمي للإسلام ، فيخرج طالب المرحلة الثانوية وهو أمي من الناحية الدينية !؟

٣ - انتشار التصرفات الفوضوية وغياب قواعد الأخلاق من المدارس وساحات الدرس ، الأمر الذي أدى إلى غياب الاحترام والتقدير والتبجيل التي كان يحظى بها المعلم فيما مضى ، فمع قدوم الاحتلال إلى البلاد أشييع فيما أشييع من الأمور أن التأديب المتمثل بالضرب (غير المبرح) وتخويف الطالب أيًّا كان نوعه ممنوع بل يعتبرونه جريمة نكراء وكذلك (تأنيب الطالب وزجره وتقويمه) يعتبر من الممنوعات والمحظورات ، فأدى كل ذلك إلى بدء تطاول الطالب على المعلم وتحديه في ساحات الدرس وخارجها! وكم من معلم ضُرب واعتدي عليه في داخل المدرسة أو خارجها ، فغابت هيئة المعلم أو كانت ، الأمر الذي نجم عنه انحطاط وتقويض أسس التربية وقواعد الأخلاق التي كان يتميز بها شعب فلسطين منذ القدم ، وصار من الأمور البديهية أن يمثل المعلم أمام القضاء المتعفن لأن الطالب قد شكاه ومرد كل ذلك إلى التحرير الخفي والمبطّن الذي يمارسه الإعلام اليهودي من خلال وسائله المختلفة ، والإعلام العربي المحلي المهزوم.

٤ - بروز ظاهرة العمالة الطلابية في المصانع والمعامل والمزارع والمنشآت اليهودية ، فمع قدوم الاحتلال بدأ الترويج لفكرة العمل في المنشآت داخل الخط الأخضر ، ولما كان الناس في أحراج الظروف وأقساها في المخيمات وغيرها ، ولا يجدون أمامهم إلا مصانع إسرائيل ومزارعها ، بدأت قوافل العمال تُغْزِي السير إلى العمل هناك في كل صباح ، وجرفت الموجة كثيراً من طلبة المدارس حيث عمدوا إلى ترك مقاعد الدرس ويممّوا داخل الخط الأخضر ، فريق العمل هناك كان له لون آخر! نسبة كبيرة من الطلاب كانت تذهب للعمل ليلاً ، بعد الدوام المدرسي إلى ما بعد منتصف الليل ، حتى إذا عاد إلى بيته استغرق في النوم بقية الليل ونصف النهار الآتي وبهذا يكون كالقسم الأول

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

من النتيجة ، ناهيك عن الانحراف والضياع الذي ينتظر أولئك الأغراط في المصانع والمنشآت ، حيث العمل للجنسين جنباً إلى جنب .

٥- تقشى ظاهرة وهي لا تقل خطورة عن سابقتها - وهي انضمام كثير من المعلمين إلى قوافل العمل الليلي في المصانع والمنشآت الإسرائيلية ، وذلك لأن راتب المعلم غالباً لا يكفي لإعاشته وأسرته - وهي سياسة إسرائيلية لخلق القلق في نفس المعلم وغيره من طبقات الأمة - فما كان من كثير منهم إلا أن ركب الموجة والتحق بالعمل الليلي تحت ضغط الحاجة ، الأمر الذي أدى إلى انحطاط خطير في مستويات التعليم المدرسي ، فالمعلم الذي يعمل في الليل لا بد له أن ينام في النهار ، وكذلك الطالب غالباً ما يكون ذلك على طاولة الفصل ، - فصار المرسل والمستقبل في حالة عطب - وأشار خطورة من هذا وذاك - زملاء العمل التي صارت تربط بين المعلم والطالب في موقع العمل ، وما نتج عنها من رفع التكليف بينهما ورفع الحواجز النفسية التي كان وجودها ضرورياً ، فصار زميل العمل في الليل هو المعلم في النهار ، وبذلك قلت هيبة المعلم في نفس الطالب و Zhao فيه .

٦- عدم إسناد الوظائف الإدارية الهامة إلا لمن يرتبط بعلاقات وثيقة مع الحكم العسكري والمخابرات (الشين بيت) أو لمن يثبتون ولاءهم المطلق لتلك الجهات على أرض الواقع ، كوظيفة (مدير تعليم) أو (مدير مدرسة) أو (موجه إدارة) أو عن طريق جهات لها نفس الصلات بالحكم العسكري ، وتقوم بخدمته وفق ما يطلب ويتمنى ، وبهذا الإجراء المخابراتي المدروس ضمن الحكم العسكري أوضاع المدارس والمعاهد العلمية في حدود سياساته المرسومة والمبرمجة ، فالنقارير والوشایات وتلقيق التهم والكيد للشففاء والأحرار تتواصل تباعاً حول مجريات الأمور في كل وقت وحين ، كما يتم بواسطة هؤلاء وأمثالهم الإبلاغ عن كل كبيرة وصغيرة تتعلق بقضايا الاحتلال الأمنية والسياسية والعسكرية وبكل صراحة ووضوح ، إلى حد التبليغ عن أسماء التلاميذ الذين يخرجون في مظاهرات! وباختصار: يقوم هؤلاء المرتزقة بتنفيذ السياسة التعليمية التي يريدها الحكم العسكري بكل دقة وانتباه .

٧- تعمد المخابرات العسكرية بالتعاون مع الحكم العسكري وضباط الإدارة الرسمية لشؤون التعليم بالمناطق المحتلة ، إلى الإيقاع بعدد كبير من المعلمين في حبائل المخابرات (الشين بيت) وعملائها ويتم برمجتهم كشبكة معلومات واسعة الانتشار لجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات المختلفة عن المعلمين والطلاب في كافة المناطق ، وهذا يضمن للحاكم العسكري أكبر قدر ممكن من الاختراق السهل واليسير للعملية التعليمية في المناطق المحتلة ، فيقوم الواحد من هؤلاء المرتزقة بتسجيل حرکات وسكنات كل واحد من زملائه المعلمين على مدار العام ، وعلى ضوء ذلك يتم التعامل مع المعلمين كل حسب نشاطه وانت茂ه ، حيث يتم في نهاية الأمر معاقبة مجموعات كبيرة إما بالفصل (الوقف عن العمل) أو الإحالة على التقاعد قبل حلول الموعد المحدد لذلك بسنوات ، أو النقل إلى جهات ثانية جداً بحيث يضطر المعلم إلى صرف كل راتبه على وسائل المواصلات أو المحاكمات العسكرية الصورية ، ومن هؤلاء المعلمين من هم في سن الشيخوخة رجال أفالضل أفنوا عمرهم في تربية الأجيال وتهذيب النشء ، فيكون مصيرهم أن توكل أمورهم إلى هؤلاء الأشرار من العلامة أعداء الأمة لنيل الخطوة والمدح والثناء عند الحاكم العسكري!

٨- أما ثالثة (الأثافي) وكارثة الكوارث فهي أن تقوم أجهزة المخابرات باصطدام الكثير من الطلاب صغارة السن وتجنيدهم عملاً لها وذلك عن طريق إغوائهم وإغرائهم بالمال وغيره وذلك بنقل ما تيسر لهم من المعلومات والأخبار عن الطلاب ، والمعلمين وعن أحوال مدارسهم أو لأول ، ووصلت الوقاحة بعض هؤلاء الأغراط أن يقوم بتهديد معلميهم بضباط المخابرات علينا وأمام التلاميذ!

- ٩ - قيام سلطات الاحتلال بفصل مجموعات من المعلمين النشطين فصلاً تعسفياً كمحاولة منها لقطع أرزاقهم ، وما يجدر ذكره أن السواد الأعظم من المعلمين الموقوفين عن العمل هم من الحركة الإسلامية وأصحاب الاتجاه الإسلامي وذلك بقصد حرمان الجيل من التربية الإسلامية وإيقائه يتخطى في بحور الظلام ، وبموجب قرار الفصل يتم حرمان المعلم من كافة حقوقه وامتيازاته الوظيفية..
- ١٠ - رواتب المعلمين الفلسطينيين المتدينة والتي لا تؤمن الحد الأدنى من الحياة الكريمة للمعلم وأسرته بعكس المعلم الإسرائيلي الذي يتلقى أضعاف ما يتلقى نظيره الفلسطيني ، ويكون راتبه مربوطاً بجدول غلاء المعيشة بشكل كامل ، مع تأمين كافة خدمات أسرته الصحية والتعليمية وغيرها. والتهاون بحقوق المعلمين الوظيفية والمدنية فمثلاً لقد تم وقف صرف رواتبهم لفترات طويلة أيام الانتفاضة بحجة انقطاع الطلاب عن الدوام المدرسي علمًا بأن المعلم كان يداوم يومياً وبلا انقطاع!
- ١١ - نصاب المدارس من المعلمين والموظفين لم يكتمل في يوم من الأيام ، فتكاد لا تجد مدرسة إلا ويعترضها النقص في عدد المعلمين قد يصل إلى خمسة معلمين أو أكثر في المدرسة الواحدة أحياناً ، لأن من مصلحة الاحتلال التوفير في هذا المجال ، ولأن التعليم بحد ذاته ليس غاية يسعى إليها ، كما وإن المعلم الموقوف عن العمل لا يتم تغطية مكانه الشاغر وإنما يبقى كذلك حتى نهاية العام.
- ١٢ - زيادة أسعار الكتب بشكل كبير ، وكذلك الرسوم المدرسية التي يدفعها الطالب في مستهل العام الدراسي الأمر الذي يشكل عبئاً كبيراً علىولي أمره الفقير أو متوسط الحال.
- ١٣ - وضع المبني المدرسي المزري ، وعدم القيام بصيانتها أو ترميمها ، فترى كثيراً منها في وضع سيء ومهلهلة وتحتاج إلى إعادة النظر في مراقبتها ، ولكن أمراً كهذا لا يدخل في دائرة اهتمام السلطات هناك.
- ١٤ - قضية التعيين : إن التعيين في سلك التربية والتعليم في الأراضي المحتلة لا يعتمد على المؤهل أو التقدير بقدر ما يعتمد على الجهة المخولة بالبت في هذا الموضوع ، فيتم تعيين ما نسبته ٩٥% من الاحتياج عن طريق المخابرات ، أما الـ ٥% المتبقية فيتم تعيينهم عن طريق إدارات التربية والتعليم التي لا تبتعد كثيراً عن الاتجاه نفسه! فقد حدث أن أوقفت فتاتان عن العمل ليحل محلهما غيرهما بناءً على طلب ذويهما ، حيث إنهما من علماء الحكم العسكري !!؟
- ١٥ - ما قيل عن الأوضاع في المدارس يمكن أن يقال عن الأوضاع في الجامعات الفلسطينية والمعاهد والكليات المتوسطة ما عدا قضية المناهج التي تتحكم فيها مؤسسات الجامعات دون تدخل من أحد (هذا فيما يشر لنا) أما بالنسبة لتأسيس هذه الجامعات بهذه قضية بادرت إليها بعض العائلات الظاهرة في المجتمع الفلسطيني فمثلاً (آل المصري) في (نابلس) هم أصحاب النفوذ في تأسيس جامعة النجاح الوطنية ، و(آل ناصر) في (رام الله) هم أصحاب النفوذ في تأسيس جامعة بير زيت و(آل العبري) في (الخليل) هم أصحاب النفوذ في تأسيس جامعة الخليل ، وهكذا دواليك ، وتتصرف كل من هذه العائلات في أمور الجامعة ، كملكية خاصة كيما تشاء وتشتهي وبشكل لا يغضب الحكم العسكري بالتعاون مع مجلس الجامعة المعين من قبل تلك العائلة وغيرها.
- ١٦ - إحداث ظاهرة الفصول المختلطة (طلاب وطالبات) في مختلف المراحل الدراسية ، وكذلك إحداث ظاهرة وضع نسبة من المعلمين ليقوموا بأعمال التدريس بمدارس البنات الأمر الذي أثر سلباً على العملية التعليمية لكونه يتنافى مع عادات وعقيدة الشعب الفلسطيني! وكذلك اعتماد أسلوب التشريد الوظيفي والبعثرة المهنية ، فأبناء الجنوب يعيّنون في الشمال والعكس هو الصحيح بحيث يتوجب على الواحد منهم الاستيقاظ قبل الفجر بساعات ليتمكن من اللحاق بدوامه المدرسي ولا يعود إلى بيته إلا عند الغروب ، الأمر الذي يجعله في حالة استنفار طوال اليوم!!

موقف منظمة التحرير الفلسطينية ..

إزاء المعلمين الموقوفين عن العمل في الأراضي المحتلة :

لا بد من الإشارة في هذا المقام إلى العنصرية البغيضة والعقilia الحزبية التي تتصرف بها منظمة التحرير في التعامل مع الناس في شتى الأمور والقضايا ، فقد كان هناك توجّه لدى منظمة التحرير بصرف رواتب للمعلمين الذين يتم وقفهم عن العمل ورعايتهم باستثناء المعلمين من الحركة الإسلامية وأصحاب الاتجاه الإسلامي!

ولا زلت أذكر أنه عندما تم وقفنا عن العمل قامت المؤسسات العاملة بالأردن ، التابعة لمنظمة التحرير باعتماد صرف رواتب للمعلمين الموقوفين عن العمل ، مع استثناء معلمي الاتجاه الإسلامي وعدم الالتفات إليهم نهائياً . وهذه كلمة نقدمها للتاريخ ، فقد كنا سعداء لأننا كنا نحتسب بذلك عند الله وليس عند فلان أو فلان ، وإن دعوتنا وتصديقنا للباطل لم تكن سلعة نتاجر بها ((فُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ - كُلُّ شَيْءٍ شَهِيدٌ))، ولكن كان لا بد من تسطير هذه الملاحظة حتى يعلم الناس من هم أولئك الذي يدعون أنهم يمثلون شعب فلسطين ، ويتبّون المتاجرة بالشعارات المحروقة أسلوباً لهم!

محاولة امتهان كرامة المعلم من قبل سلطات الاحتلال وأعوانها :

في منتصف الثمانينات وعلى وجه التقرير وجهت دعوة رسمية لكل معلم بمنطقة طولكرم بحضور حفل افتتاح (مدرسة السلام) بمدينة قلقيلية تحت رعاية الحكم العسكري ، وأقيم الحفل وأقيمت منصة كبرى جلس عليها الضباط من اليهود، وعناصر روابط القرى العميلة، ومدير التربية والتعليم، بينما جلس آلاف المعلمين في الساحات السفلية بكراسي متراصّة وكان الفصل شتاءً والبرد قارصاً ، وما هي إلا دقائق حتى انهر المطر غزيراً ومدراراً، وغرق المعلمون في ثيابهم ، ولم يستطع أي منهم التحرك لا يميناً ولا يساراً بينما جلس أصحاب المنصة يحتسون المشروبات المختلفة بكل نشوة وسرور تحت مظلة كبيرة أعدت لهم !! إنه امتهان لكرامة الإنسان مع سبق الإصرار والترصد.

إن ما ذكر ليس كل شيء بالنسبة لقضايا التعليم في الأرض المحتلة ؛ بل ما هو إلا غيضاً من فيض ، وإنه مع بروز ظاهرة الصحة الإسلامية المباركة هناك أخذت الأمور تعود إلى سابق عهدها شيئاً، وكذلك فإن الانتفاضة التي انطلقت من مرابض الحركة الإسلامية ومساجد فلسطين ساهمت إلى حد كبير في نسف وتبييد ظاهرة الركوع والانحناء لمخططات اليهود وأعوانهم.

خواطر في الدعوة الهمة العالية

محمد العبدة

من أشد ما تصاب به أمة من الأمم أن يكون أفرادها ذوي هم ضعيف، وعزائم واهنة وتطلغات قاصرة، يرى أحدهم نفسه قزماً أمام المتغيرات الكبيرة ، والتحولات التاريخية ، فلا يفكر في التغيير، ولا البدء في مشاريع مستقبلية، ومنْ هذا وصغره كيف يرجى له الشفاء إذا كان اعتقاده أنه لا يشفى ، ذلك أنه أسير تربية ذليلة ، لم يقم يوماً يعمل مستقل أو بعمل تعاوني كبير، لم يتدرّب يوماً على القيادة، فإذا فجأة أمر تفوق وانزوى لأنه لا يملك الخبرة لإدارته.

إن عدم الثقة بالنفس مرض يفتّك بالدعوة ورجالها ، فتعيش دهراً وهي لم تفعل شيئاً ذا بال ، وحتى إذا ما واتتها الظروف التي يهئها الله سبحانه وتعالى رحمة بعباده المؤمنين فإنها لا تقدم على اهتمامها ، وذلك كله لعدم الثقة بالنفس ، بل تصاب بالدوار إذا نظرت إلى ما هو مطلوب منها أو ما ينتظره الناس منها ، ومن العجيب - والعجائب جمة - أن تناح الفرصة أمام الدعوة فلا تقتضي ، ثم لا يأتي مثلها إلا بعد دهر.

إن الخروج من المأزق له منافذ ، ومنها أن أرض الله واسعة لمن يريد الانطلاق ، ولمن يريد تأسيس أعمال كبيرة ، والطاقات متوافرة ولكنها بحاجة إلى عزمه أكيدة وثقة بوعده الله ، ولقد بعث الله موسى عليه السلام ليخرج قومه من الذل والاستعباد، إلى التمكين في الأرض ، والاستراحة بشرع الله ، ولكن نفوسهم كانت ضعيفة صغيرة ، لا تستطيع حمل مثل هذا العمل العظيم، وذلك لأنّه من العبودية لفرعون ولائه، فتصاغرت نفوسهم وهانت عليهم حتى لم يعودوا يرون أنها جديرة بمرتبة الاستخلاف في الأرض.

بينما نجد أن العربي الذي تلقى من التربية النبوية المباشرة ، والذي لم يتلوث بهاتيك المفاسد يحمل بين جوانحه من الآمال والطموحات ما يغريه على اقتحام الأهوال وجوب البحار لتبلیغ هذا الدين.

لا بد أن ينعتق الفرد المسلم من مثل هذه الأجواء التي تقيده وتشعره بضلاله وتشعره بأنه جزء صغير من آلة ضخمة، ومن عجلة تدور لا يستطيع الفكاك منها، لا بد أن يقنع الفرد المسلم بأنّه عند طاقات وقدرات يستطيع فيها القيام بأعمال كبيرة.

نحو مفهوم موضوعي وإنساني للتنمية

جمال حسن الحمصي

بعيداً عن ضباب الإعلام الاستهلاكي ووهج الألفاظ الرنانة ونزعة التبسيط المُخل ، يهدف هذا البحث القصير إلى مواجهة إشكالية مفهوم «التنمية». فما هو المقصود بهذا المصطلح السعري؟ وهل يستطيع الفكر العلماني المعاصر أن يعرّفه بطريقة موضوعية محايدة؟ أم تراه مفهوم أخلاقي معياري فلوفي غير قابل للتعرّيف الموضوعي غير الشخصي؟ هل الرابط بين «التنمية» وبين زيادة الدخل أو الإنتاج أمر مبرر منطقياً؟ أم تراه يُعبر عن أيديولوجية مادية متحيز؟ وما هو السبيل لتقديم تعريف موضوعي / عقلاني يتجاوز هذا المفهوم المتحيز؟ هذه هي الأسئلة التي تشكل محور هذا البحث.

يمكن القول بأن مصطلح «التنمية» أو «التنمية الشاملة» جاء ليعبّر عن رغبة الإنسان الملحة في تحسين أوضاعه المعيشية ، وتوقه الدائم لزيادة رفاهيته وسعادته. ولكن ماذا نعني بالضبط بكلمة «التنمية»؟ معظم العاقلين سيقبلون الادعاء بأن التنمية - كمدخل عام - هي : «تغير إنساني مرغوب».

إن العنصر أو المكون الأخير للتعرّيف السابق يوقعنا في معضلة أو إشكالية فلسفية أو أخلاقية ، ذلك أن ما يُعتبر تغييراً إنسانياً «مرغوباً» من وجهة نظر فرد أو جماعة أو مجتمع أو حضارة ما ؛ يمكن أن يصبح عكس ذلك من وجهة نظر فرد أو جماعة أو مجتمع أو حضارة أخرى. إن المشكلة الأساسية في التعريف المذكور تمثل في أن تحديد القيمة الاجتماعية لأي تغيير هي قضية ترتبط بفلسفة الأخلاق (Marshall, p17) أكثر بكثير من ارتباطها بالعلم والتجربة.

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

قد يقول قائل : إن التغيير الإنساني الذي يزيد من الرفاهية أو السعادة الإنسانية هو تغيير «مرغوب» بشكل موضوعي لا خلاف فيه (ومن يرفض السعادة كهدف أسمى؟) وعليه فإن المنطق السوي يقتضي القول بأن «التنمية» هي : «تغيير إنساني يهدف إلى زيادة الرفاهية أو السعادة الإنسانية». قد يعتقد البعض أن الحيلة الأخيرة قد حلّت بشكل كامل المشكلة الفلسفية المرتبطة بتوفير تعريف موضوعي لمصطلح «التنمية» ، وذلك من خلال جعل الرفاهية أو السعادة الإنسانية بمثابة الخير أو الهدف الأسمى للبشرية ، ولكنها لأسف لم تفعل ذلك. وهذا يعود إلى قصورنا في تحديد وقياس مفهوم الرفاهية الإنسانية(١). فالقول بأن التغيير الإنساني «س» قد زاد من الرفاهية الإنسانية هو حكم شخصي من الصعب اختباره بشكل علمي موضوعي محايد. إن الرفاهية ، وكما تؤكد الغالبية العظمى من منظري اقتصاديات الرفاه Welfare Economics، هي متغير غير قابل للقياس أو. المقارنة الموضوعية (انظر على سبيل المثال : Graff, p.2-3).

تعريفات التنمية :

إن المقدمة السابقة تشكل منطقاً جيداً لتقويم التعريف العلماني الدارج للتنمية في وقتنا الحاضر ، ذلك التعريف الذي يركز على البعد الاقتصادي أو المادي للرفاهية أو التنمية. فمن خلال إلقاء نظرة متفرقة على أدبيات التنمية في العلوم الاجتماعية (وبالذات علم الاقتصاد و علم الاجتماع) ، يستطيع المرء أن يستنتج تعريفين رئيسيين لمصطلح «التنمية»: الأول هو تعريف إجرائي Operational ولكنه غير موضوعي بتناً وذلك هو التعريف الاقتصادي للتنمية والذي ينظر إلى «التنمية» بوصفها: «عملية طويلة الأجل تهدف إلى زيادة متوسط الدخل الفردي الحقيقي». أما التعريف الثاني والأكثر حداً فهو موضوعي إلى حد كبير ولكنه غير إجرائي ، وهو ينظر إلى التنمية بوصفها: «عملية طويلة الأجل تهدف إلى زيادة الرفاهية أو السعادة الإنسانية».

التعريف الأول هو إجرائي بلا شك لأنّه يمكن توفير سلاسل زمنية إحصائية تتبع حركة الدخل القومي ، ولكنه غير موضوعي (علمي) لأن الدخل الفردي الحقيقي Real Par Capita Income هو مؤشر ضعيف للرفاهية الاقتصادية ، فكيف نجعله مقياساً أو حتى مؤشراً للرفاهية الإنسانية والتي تضم - إضافة إلى الرفاهية الاقتصادية - كلاً من الرفاهية الأسرية والرفاهية السياسية والرفاهية الاجتماعية والرفاهية البيئية والرفاهية الروحية والرفاهية النفسية(٢).

هل يمكننا تقديم تفسير لهذا التحيز الأيديولوجي في جعل الدخل القومي مقياساً أو مؤشراً لجودة الحياة و «مستوى المعيشة» والرفاهية الإنسانية ؟ يقول أحد المتخصصين :

«بالرغم من أنه قد عُلم بأن الدخل القومي لا يعكس كل الحاجات الإنسانية ؛ إلا أنه قد افترض بأن أي مؤشر بديل أكثر شمولاً سوف يكون مرتبطاً بشكل كاف مع الدخل القومي ، بحيث أن التغيرات في أحدهما يمكن معرفتها عن طريق دراسة التغيرات في الآخر» (Nissel, p16). وهكذا فقد حلّت أهم مسألة تواجه البشرية ، ألا وهي مسألة تحديد ماهية الخير الأسمى Summun Bonum للإنسان عن طريق التعميم والغموض.

المشكلة في التعريف الاقتصادي للتنمية أنه يجعل النمو الاقتصادي والتصنّيع بمثابة «الهدف الأسمى» الذي يطمح الإنسان إلى التوصل إليه ، فحسب هذا التعريف فإن أي تغيير إنساني يزيد من الدخل القومي هو تغيير «مرغوب». حتى وإن أدى إلى تدهور الرفاهية غير الاقتصادية. وإذا أردنا أن تكون أكثر دقة ، فإن المؤمنين بالنظريّة الاقتصاديّة للتنمية (وهم في تناقض مستمر) يستبعدون وجود مسببات أخرى للرفاه غير المسببات الاقتصادية أو يفترضون أن هذه المسببات الأخرى تنمو تلقائياً مع زيادة الدخل القومي ولا تتأثر سلباً بالتغييرات الاقتصادية ، وكل الأمرين تبسيط مخل وغير موضوعي.

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

إن القول بأن أي تغير إنساني يزيد من الناتج القومي الإجمالي GNP (الدخل القومي) هو تغير «مرغوب» لا يمكن إثباته أو تبريره بطريقة موضوعية/عقلانية ويمكن تقديم الكثير من المنشد والجدل لرده.

فمجمل الناتج القومي ليس فقط قاصراً عن الدلالات على الحياة ورفاهيتها بصورة ملائمة ، وإنما لا يعتبر أيضاً مؤشراً جيداً للإنجاز الاقتصادي^(٣) (Nissel, p.16). ويؤكد K.Helleiner في مقالته «شروط أخلاقية للنمو الاقتصادي» على ضرورة توفر شرطين على الأقل ليؤدي النمو الاقتصادي إلى زيادة الرفاهية ، أو بالأحرى الرفاهية الاقتصادية ، وهما :

- ١- يجب أن تكون رغبات وتفضيلات الإنسان التي يعمل النمو الاقتصادي على إشباعها ذات طبيعة «مفيدة» أو «غير هدامه» أو بتعبير آخر «جيدة». وإلا فإن النمو الاقتصادي هو وسيلة الإنسان للتعاسة! إذ ما الفائدة من وراء استهلاك الخمر و«الخدمات الجنسية» ، على سبيل المثال ، سوى تدهور الصحة وتزايد معدلات الطلاق وحوادث السير ، وانتشار الأمراض الجنسية؟
- ٢- يجب أن لا تنمو كثافة وعدد رغبات الإنسان بمعدل أسرع من القدرة على إشباعها (p.390). أما أرثر لويس A.Lewis ففي إجابته على التساؤل : «هل النمو الاقتصادي أمر مرغوب؟» يؤكد على أن الثروة لا تجلب أو تزيد من السعادة إذا ما زادت الرغبات بشكل أكبر من زيادة الموارد (1965,p.420) وهذا بالفعل ما يحدث على أرض الواقع ، إذ أن تزايد دخول وثروات الناس عادة ما يزيد من تطلعاتهم ورغباتهم ، خصوصاً إذا كانوا يفتقدون التطلعات الروحية والدينية.

ويقول المؤرخ الشهير أرنولد توينبي Toynbee في هذا المجال : «يجب أن نهدف ليس إلى [زيادة] الناتج القومي الإجمالي وإنما إلى [زيادة] ، الرفاهية القومية الإجمالية. إن مدى اختباري للرفاہ هو كما يلي : مدى الانسجام والتعاطف المشترك بين أفراد المجتمع والرفاهية الروحية المتوسطة لكل فرد والتي تحدد بدورها مدى الانسجام والتعاطف» (Mayor, p.212).

وكما أشار «جوارنطي وستروب Gwartney and Stroup» في كتابهما «عالم الاقتصاد الكلي» فإن «الناتج القومي الإجمالي لا يقيس الرفاه أو السعادة أو حتى التقدم الاجتماعي ، وهذه المفاهيم الشخصية [غير الموضوعية] تتأثر بعوامل عديدة أخرى. ما يزال الرأي العام يربط بين زيادة الناتج القومي الإجمالي وبين التقدم والتحسين في نوعية الحياة وهذا أمر يُؤسف له ، لأن الناتج القومي الإجمالي لم يُقصد به بتاتاً أن يكون مقياساً للتقدم الاجتماعي.. [إنه مجرد] مؤشر للتغيرات قصيرة الأجل في النشاط الاقتصادي» (p.127).

أما التعريف الثاني للتنمية فهو تعريف موضوعي إلى حد كبير ولكنه ضمن النظرية العلمانية للمعرفة - غير إجرائي. وهو ينظر إلى التنمية بصفتها عملية تهدف إلى زيادة الرفاهية الإنسانية بمكوناتها وأسبابها المتعددة ، الاقتصادية منها والاجتماعية والسياسية والروحية والأسرية ، البيئية والنفسية. إنه تعريف موضوعي لأن قليلاً من الناس من يرفض رفاهية أو سعادة البشر كهدف أسمى ، ولكنه غير إجرائي لأننا كبشر لا نعلم - من خلال العلم أو العقل أو الأدلة التجريبية - ماهية العوامل أو القيم أو الأوضاع التي تزيد من الرفاهية ، لأن المسألة فلسفية جدلية ، وحتى إذا استطعنا تعداد أو حصر مجمل مسببات الرفاهية - كما فعل الكاتب - فإن هذا لا يحل مشكلة تحديد الأهمية النسبية لهذه المسببات ، كما أن هذه الخطوة الأولية لا تحل مشكلة كيفية تحقيق مختلف مسببات أو مكونات الرفاه ، وما هو مقياس التحسن أو التردي في كل منها ، هل هو تفضيلات الأفراد ، أم تفضيلات «الحكومة» ، أم تفضيلات دكتاتور ، أم العادات والتقاليد ، أم تفضيلات الأغلبية ، أم تفضيلات النخبة (المخططين مثلًا) أم ماذا؟ وما هو مدى «موضوعية» هذا المقياس؟

هديّة لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

ما سبق نستنتج أن «التنمية» مفهوم إشكالي إلى حد كبير من الناحية الفلسفية أو الجوهرية (Wallman, p1-2) فهي من المفاهيم الخلافية بالضرورة Essentially Contested Concepts والاعتماد على العقل أو العلم أو المعرفة التجريبية للتوصيل إلى التعريف «الحقيقي» أو «الموضوعي» لهذا المفهوم أمر عسير ، لأن التنمية مصطلح أخلاقي أو معياري (Seers,p.22) أي مفهوم يتعلق بما «يجب» أن يكون عليه الوضع الإنساني وبالتالي Normative Concept فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأحكام القيمية Value Judgements أو المسلمات الأخلاقية Ethical Premises المتعلقة بما هو مفضل أو مرغوب من الأوضاع أو الأهداف (Lewis, 1975, p.119) ، ولكي نتمكن من تحديد المضمون «الموضوعي» للتنمية أو معرفة أهدافها «الحقيقية» لا بد لنا من معيار خارجي موضوعي ومستقل عن التفضيلات الشخصية أو الثقافية لبني البشر ، وهذا بدوره يستلزم التوصل إلى نظرية موضوعية للمعرفة الأخلاقية أو الأمر الذي فشلت الفلسفة العلمانية المعاصرة في تحقيقه (٤).

مضامين ونتائج :

لهذا البحث القصير العديد من المضامين والنتائج المرتبطة بالسياسة العامة ، لعل أهمها:

- ١ - ضرورة الاهتمام بالجوهر والمضمون عند القيام باتخاذ سياسات أو برامج أو خطط تنموية. فعلى سبيل المثال هناك تجاهل غير مقبول تماماً من قبل معظم دول العالم للرافاهية غير الاقتصادية وقد أثر هذا التحيز الأيديولوجي في نوعية الحياة بشكل أفقد الحياة معناها ورونقها. فبرامج «التنمية» وخططها يجب أن لا تهدف فقط إلى زيادة معدلات الإنتاج أو رفع معدلات النمو الاقتصادي أو تقليل التفاوت في مستويات الدخول أو القضاء على البطالة والفقر ، أو حتى رفع كفاءة العاملين أو تنمية الموارد البشرية فحسب ، بل يجب أن تتضمن كذلك - وبشكل واع وصريح - أهدافاً وسياسات وبرامج للحد من المشكلات الأسرية وحماية مؤسسة الزواج والأسرة (الرافاهية الأسرية) وتحسين علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وتخفيف معدلات الجرائم والانحراف السلوكي (الرافاهية الاجتماعية) ، وإعطاء القيم الروحية مكانة عالية وتخفيف معدلات الانتحار والإدمان والأمراض النفسية (الرافاهية الروحية والنفسية) والتركيز على الاهتمام بالرافاهية البيئية. إن من المؤسف له أن تُعطى «الرافاهية الاقتصادية» في معظم دول العالم أكثر من ثمانى وزارات أو دوائر حكومية رئيسية (المالية والبنك المركزي والتموين والصناعة والإسكان والتجارة والطاقة والثروة المعدنية..) في حين لا تكاد تُعطى الرافاهية الأسرية سوى اهتمام جزء من وزارة ، مع أن الشّرع الإسلامي - الذي يقدم لنا نظرية موضوعية للمعرفة الأخلاقية - يجعل مقصداً «حفظ النسل» مقدماً من حيث الأهمية على مقصداً «حفظ المال»، كما يؤكد ذلك علماء أصول الفقه.

- ٢ - من القراءة المتبصرة لهذا المقال يتبيّن لنا مقدار التحيز واللاموضوعية التي وصل إليها دعوة التحديث Modernization والتغريب Westernization (تقليد نمط الحياة الغربية). فهؤلاء اعتبروا أن طريقة الحياة الغربية تغير عن التنمية والتطور والتحديث والتقدم. بل ويصر بعضهم على أن النموذج الغربي للتنمية هو النموذج الوحيد أو «الأمثل» وأن المفهوم الغربي العلماني للتنمية هو مفهوم «عقلاني» أو «موضوعي» إن هؤلاء ببساطة يعنون من وعي زائف مزمن. (٥)

- ٣- ضرورة زيادة الاهتمام الرسمي والشعبي لتكوين وبلورة نظرية إسلامية للتنمية تتعلق من المسلمات الأخلاقية الإسلامية وتضع البرامج العلمية الكفيلة بتحقيق المنظور الإسلامي للتنمية. إن هذا الأمر ليس مجرد ترف فكري أو من قبيل الاهتمام بالأصالة و«التراث» فحسب ، إنه في

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

واقع الأمر السبيل الوحيد لإيجاد حقيقة موضوعية. فكما أكدنا سابقاً فإن النموذج العلماني للتنمية غير مؤهل لتقديم تعريف موضوعي/عقلاني للتنمية ، كما أن النموذج السابق قد فشل فشلاً ذريعاً على أرض الواقع في حل مشاكل المجتمع المعاقة. إن العقل والعلم - معبودا العلمانية - غير مؤهلين للتوصل إلى تعريف موضوعي للتنمية فهذا ليس نطاق عملهما. إنهم مجرد وسيلة لتحقيق الهدف ، ولكنها لا يملكان القدرة على تحديد ماهية هدف «التنمية» أو مضمونها الموضوعي. وعليه لا بد لنا من الاستعانة بالقيم الإسلامية لاستبطاط أو بلورة نظرية معيارية موضوعية للتنمية.

إن الذي حفزني لكتابه هذا المقال تناقض جوهري يسري في حياتنا المعاصرة. يتمثل في الحديث المجرد ، وربما الساذج ، عن «التنمية» و«التقدم» و«البناء» و«التطور» و«الرقي» و«التحديث» و«عقلنة المجتمع».. وما شئت من مصطلحات ، في الوقت الذي يغرق فيه الفرد - أي فرد سواء كان في الدول العلمانية النامية أو العلمانية الصناعية - في مستنقع من الضجر والملل وفقدان الحياة والجمود والترويض والاضطراب النفسي ، وفي الوقت الذي تعاني فيه كافة المجتمعات العلمانية المعاصرة من عشرات المشكلات الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية.(٦) وكما يقول أحد علماء النفس التحليلي : «نحن نعيش عصراً حلّت فيه سيكولوجيا انتشارية محل الاستقرار الداخلي ، وتخلت الماهية عن مكانها إلى جميع المظاهر السطحية».

ألم يقل الله عز وجل في كتابه الكريم : ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنَكاً)) [طه: ١٢٤]. هذه هي خرافات «التنمية» في الدولة العلمانية ، فإلى متى ننمى هذه الخرافات؟

الهوامش :

- ١ - حول عدم إمكانية تحبيب القيم أو الأحكام القيمية - غير القابلة للاختبار العلمي - في مجال قياس الرفاهية الإنسانية ، انظر (Drewnowski,p.85).
- ٢ - إذا أراد القارئ التعرف على تعريفات دقيقة ومقرحة للرفاهية الاقتصادية والأسرية والاجتماعية والروحية والسياسية والنفسية والبيئية فإن عليه الرجوع إلى أطروحة الكاتب (الكافأة والعدالة في الاقتصاد الإسلامي : مدخل إسلامي لاقتصاديات الرفاه) ، ص ١٤ - ١٥ ، الجامعة الأردنية.
- ٣ - للتعرف على عيوب الناتج القومي الإجمالي باعتباره مؤشراً للإنجاز أو الرفاهية الاقتصادية ، انظر رسالتنا الجامعية (الكافأة والعدالة في الاقتصاد الإسلامي : مدخل إسلامي لاقتصاديات الرفاه) ، ص ١٩٣ - ١٩٥ ، حيث تم تعداد (١٠) عيوب لهذا المؤشر ، بدءاً من السلع التي لا تتدالو في السوق ووقت الفراع ، مروراً بمسألة توزيع الدخل وجودة السلع المنتجة وتركيزتها ، وانتهاءً بما يرافق النمو الاقتصادي من التلوث والضجيج وحوادث العمل والتكليف الاجتماعية الأخرى. ولمزيد من التفاصيل حول تكاليف النمو الاقتصادي انظر (Mishan, 1973).
- ٤ - يشير F.Utsunomiya «في كتابه «علم سياسة التنمية والبيئة : نحو حضارة جديدة» ، إلى أن «التنمية» هي مفهوم معياري وبالتالي فهي تشكل موضوعاً ملائماً للنظرية الأخلاقية والفلسفية ، فنحن نحتاج - حسب قوله - إلى فلسفة للتنمية الإنسانية. ثم يستمر ليؤكد عجز الفلسفة المعاصرة عن تكوين نظرية معيارية للتنمية حيث يقول: «من الطبيعي أنه ليس هناك رموز ، كلمات إرشادات أو بناء معرفي للنظرية المعيارية. إن جميع المنظرين المعيارييين Normative Theorists يتلقون على أن التنمية يجب أن تؤسس على المذهب الإنساني Humanism ، ولكن من الصعبه التعرف على أي اتفاق على التعريف المعياري للتنمية. إن هؤلاء المنظرين المعيارييين لا يمكن أن يتجنبا الانتقادات القائلة بأن مفاهيم القيم هي مفاهيم شخصية

بحتة» (p61-62). إن الفلسفة الغربية المعاصرة ترتكز على مذهب الشك الأخلاقي Moral Skepticism، بمعنى الشك في إمكانية التوصل - من خلال الأدلة العقلية أو العلمية - إلى معرفة أخلاقية موضوعية مستقلة عن تفضيلات (أو رغبات) الأفراد أو جماعات المصالح الخاصة، وبالتالي فهو هذه الفلسفة العلمانية تستند بشكل رئيسي على نظرية شخصية للمعرفة الأخلاقية Subjective Epistemology، وهي نظرية قوامها جعل الإنسان ورغباته المقياس الوحيد للقيمة والفضيلة.

٥- من الكتب الحديثة التي تتعرض بالانتقاد لنمط الحياة الغربية من منظور تنميوي شامل ، كتاب «فقر التقدم : تغيير أنماط الحياة في المجتمعات الصناعية ، (١٩٨٢) ، حيث يؤكد هذا الكتاب على ظاهرة سوء تنمية Maldevelopment المجتمعات العلمانية الغربية المعاصرة من حيث التركيز على النمو الاقتصادي أو المادي وإهمال الجوانب الاجتماعية والأسرية والبيئية. كما ينادي مؤلف الكتاب إلى تطوير «أساليب بديلة للحياة» «تحل محل «أساليب الحياة المسيطرة» في هذه المجتمعات ، والتي تتميز بالتفكك الأسري وانعدام الثقة والعواطف الإنسانية وتزايد معدلات الجريمة والعنف ، بالرغم من مظلة النمو الاقتصادي والتطور الديمقراطي الذي يعيشونه. انظر (Miles and Irvine, 1982).

٦- في المجال الأسري تعاني الدول العلمانية المعاصرة من مشاكل الطلاق ، العنوسية (العزووية) والهجران الزوجي والأمراض الجنسية وأخرها الإيدز ، والبغاء والشذوذ الجنسي والاجهاض ، والاغتصاب والخيانة الزوجية والأطفال غير الشرعيين والعنف الأسري والعنف الشعبي والتحرشات بالمرأة العاملة في سوق العمل وهنّاك العرض وما شابه ذلك.

وفي الميدان الاجتماعي تعاني دول العالم المعاصر من مشاكل الإجرام سواء كان ضد الملكية أو النفس ، والتشرد وحوادث الطرق وانحراف الأحداث والعنف وانخفاض معدلات نمو السكان (في الدول الغربية) وظاهرة «المجتمع الشائخ» ، والانحراف السلوكى والانتحار ، والإدمان على الكحول والتبغ والمهديات والمنومات والمنشطات والمخدرات والمسكنات ، ومشاكل التمييز العنصري والأمراض والاضطرابات النفسية والعقلية والعصبية ، والفساد الإداري والجرائم الاقتصادية والمشاكل العاطفية بين المرأة والرجل والرشوة...

وفي الميدان الاقتصادي تشكو المجتمعات العلمانية المعاصرة من التضخم (ارتفاع الأسعار) والبطالة والدورات الاقتصادية والفقر وسوء توزيع الدخل والثروة وانخفاض معدلات النمو الاقتصادي ، والعجز في الموازنة العامة وميزان المدفوعات ، والديون الخارجية (الدى دول العالم الثالث) ، وسوء تخصيص الموارد واستنفاد الموارد الطبيعية.

وفي المجال البيئي هناك مشاكل تلوث البيئة (الهواء والماء والبخار والمحيطات) والضجيج وتضرر طبقة الأوزون، والتصرّح والتعرية وانقراض بعض الأنواع بفعل الصيد الجائر والارتفاع العالمي في درجات الحرارة وغيرها.

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

أصبح الإعلام من أقوى (الأسلحة) التي تحرص الأمم على امتلاكها. وتتسابق في ميدانها ووظفت دراسات علم النفس وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم في خدمة الإعلام ، حتى أصبح قادراً على (صناعة) اهتمامات الفرد ، و(صياغة) أفكاره ، و(تغيير) سلوكه بما يتفق مع التغيير الاجتماعي المنشود.

ولقد قطع الإعلام الجاهلي المعاصر خطوات كبيرة نحو (الإنسان) المسلم حتى أوقعه في أسره.. وكانت الخطوة التالية لـ (الأسر) هي محاولة دفع هذا المسلم في طريق التنكر للإسلام عقيدةً وشريعةً وسلوكاً وحضاراً!! وقد توسل الإعلام الجاهلي لذلك بوسائل كثيرة: فاما حقائق الإسلام، فقد كانت طريقته في عرضها هي (العرض اللاهوتي) أو التراثي المتخفي ، حتى أصبح أكثر المسلمين لا يفهمون من كلمة الإسلام إلا ما يفهمه الأوروبي من كلمة Religion إذا ذكرت أماته ، فلا يزيد الإسلام في حسه عن بضعة طقوس وشعائر لا علاقة لها بشأن من شؤون الحياة !!

وأما الأفكار التي يقوم بنشرها ، فلا تجد بينها غذاء فكريأً جيداً ، بل أكثرها من نوعية الأفكار التي يمكن أن نطلق عليها (العلف الفكري) ، فهي أفكار «تدعى الفرد المسلم ، إما إلى الانصراف إلى قضيـاهـ الـيـومـيـةـ الـخـاصـةـ الـتـيـ تـدـورـ حـوـلـ الـغـذـاءـ وـالـكـسـاءـ وـالـمـأـوىـ ،ـ وإـماـ إـلـىـ الـاغـتـارـ الـحـضـارـيـ والـجـفـرـافـيـ ،ـ والـهـجـرـةـ إـلـىـ خـارـجـ الـوـطـنـ الـأـمـ وـالـانـضـامـ -ـ بـإـعـجـابـ وـوـلـاءـ -ـ إـلـىـ الـمـجـمـعـاتـ (ـالـاسـتـعـمـارـيـ)ـ ..ـ وإـماـ إـلـىـ الـانـحـلـالـ الـاجـتمـاعـيـ وـالـانـحـرـافـ وـالـانـغـمـاسـ فـيـ تـيـارـ الـجـنـوحـ وـالـانـحـرـافـ»(١).

وأما الأخلاق التي ينشرها الإعلام الجاهلي فهي أخلاق (الفضائح الاجتماعية) ، « فمن إدمان للخمر ، إلى نوادي القمار ، إلى دور البغاء العلني والسري ، إلى الخلاعة على شواطئ البحار والأنهار وأحواض السباحة والاستعراضات الرياضية المختلفة ، إلى تسهيل الإغراءات في الملابس وتشجيع دورها و محلاتها وصحفها وحفلات عرضها.. إلى آخر تلك الفضائح الأخلاقية التي قتلت الرجولة والشهامة والمروعة والستقامة وروح الجهاد والكافح في الحياة لدى الأجيال المسلمة...»(٢).

وأما في نطاق قدرة الفرد على التغيير ومجابهة التحديات ، فقد أكد هذا الإعلام على ترسيخ اعتقاد المسلم بأنه غير قادر على فعل أي شيء في مواجهة الواقع ، وأن الاستسلام لما هو كائن هو (التصرف الواقعي)!

ولا شك أن العمل الإسلامي لا يملك في مواجهة هذا الإعلام إلا سلاح الدعوة والبيان ، ولكن شمول الخل الذي أحدهـهـ الإـلـاعـمـ الـجـاهـلـيـ فـيـ الـأـمـةـ يـحـتـمـ عـلـىـ الـعـمـلـ إـلـاسـلـامـيـ أمرـينـ :ـ الأولـ :ـ لـمـ يـعـدـ يـكـفـيـ الـاعـتـمـادـ عـلـىـ الـجـانـبـ الـعـقـدـيـ وـحـدـهـ أوـ التـشـرـيعـيـ وـحـدـهـ أوـ السـلـوكـيـ وـحـدـهـ،ـ لمـجـابـهـةـ الـأـزـمـاتـ الـحـضـارـيـ وـالـانـتـكـاسـاتـ الـفـرـديـ وـالـاجـتمـاعـيـ الـتـيـ يـمـرـ بـهـ الـمـجـمـعـ إـلـاسـلـامـيـ.ـ بلـ لـاـ بدـ أـنـ تـمـشـيـ الـخـطـوـطـ الـثـلـاثـةـ مـتـكـامـلـةـ مـتـعـاـنـقـةـ لـمـعـالـجـةـ السـقـوطـ الـعـقـائـديـ وـالـاجـتمـاعـيـ وـالـاخـلـاقـيـ فـيـهـ ،ـ تـمـهـيـداـ لـإـحـدـاـتـ التـغـيـيرـ إـلـاسـلـامـيـ الـمـنـتـظـرـ»(٣)،ـ وـهـذـاـ يـعـنـيـ أـنـ يـكـونـ (ـالـخـطـابـ إـلـاسـلـامـيـ)(٤)ـ خـطـابـاـ شـامـلاـ ،ـ يـكـشـفـ الـحـقـ الـمـلـتبـسـ ،ـ وـيـبـيـنـ لـلـأـمـةـ فـيـ صـورـةـ بـلـاغـ مـبـيـنـ ،ـ ثـمـ يـنـتـقـلـ بـالـدـعـوـةـ إـلـىـ مـرـحـلـةـ الـبـرـامـجـ ،ـ فـيـقـدـمـ (ـالـمـشـروـعـ الـحـضـارـيـ إـلـاسـلـامـيـ)ـ الـذـيـ يـكـونـ بـدـيـلـاـ لـلـمـشـروـعـ الـعـلـمـانـيـ.

الثانيـ :ـ لـاـ بدـ مـنـ تـجـنـبـ الـإـسـرـافـ فـيـ اـسـتـخـدـمـ الـكـلـمـةـ وـالـبـيـانـ ،ـ بـحـيـثـ لـاـ تـكـوـنـ الـكـلـمـةـ مـجـرـدـ صـورـةـ بـيـانـيـةـ تـرـفـ فـيـ الـهـوـاءـ ،ـ أـوـ مـجـرـدـ كـمـيـةـ مـنـ المـدـادـ عـلـىـ صـفـحةـ مـنـ الـوـرـقـ ،ـ بـلـ لـاـ بدـ أـنـ تـكـوـنـ الـكـلـمـةـ (ـفـعـالـةـ)ـ تـبـثـ أـفـكـارـاـ لـهـاـ كـثـافـةـ الـوـاقـعـ وـوـزـنـهـ ،ـ بـمـاـ تـدـفـعـ إـلـيـهـ مـنـ نـشـاطـ وـحـرـكـةـ فـيـ طـرـيقـ التـغـيـيرـ (٥).

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

وأما في موضوع الأخلاق والقيم، فإن التوجيه الإسلامي لا يقدمها كعدد من الفضائل المبعثرة ، كل على حدة ، كالصدق والأمانة والعفة والوفاء. الخ.. إنما يقدمها كما هي على الحقيقة «نظام متكامل لحياة شاملة ، نظام يوجه ويضبط كل النشاط الإنساني في شتى جوانب الحياة ، ..فالصدق خلق ، ومثله الجهاد في سبيل الله لتحرير البشر من العبودية لسواه. والأمانة خلق، ومثلها عمارة الأرض وتنمية الحياة وترقيتها في حدود ما شرع الله، ابتغاء رضوان الله، والعفة خلق، ومثلها تطهير عقول الناس من الوهم والخرافة والضلال، والوفاء خلق، ومثله القيام على حدود الله، والإيجابية وعدم السلبية في حياة الجماعة...»(٦).

وهكذا .. لا يهتم التوجيه الإسلامي بالأخلاق من الناحية الفلسفية ، بل من الناحية الاجتماعية، ومدى مساعدة الخلق في إيجاد (قوة التماسك) اللازم في أمة تريد إقامة حضارة على أساس من الإسلام الحق .. الإسلام المتحرك في العقول ، والسلوك ، والمنبعث في صورة (إسلام اجتماعي).

وأما الأفكار، فإن التوجيه الإسلامي الشامل يركز على أن فقدان (الرسالة) التي قامت عليها الأمة ، وضياع (الغاية) التي بعثت من أجلها يؤديان إلى انهيار الأمة وهلاكها « وأن أمانة (الرسالة) تفرض على المسلمين أن يكون كل منهم على ثغرة من ثغور الإسلام فلا يؤتين من قبله، وأما القاعدون من المسلمين الذين يظلون أنهم بأخلاقهم وصلاتهم وصيامهم يؤدون واجبهم تجاه أمتهم ويحملون رسالتها ، فليعلموا أنه لا يصلح لهذا الدين إلا من أحاطه من جميع جوانبه، وأنه لن ينتصر آخر هذه الأمة إلا بما انتصر به أولها أي بالإيمان والجهاد والتضحية والثبات»(٧). وأما قدرة الفرد على التغيير، فإن التوجيه الإسلامي الشامل يقوم على تعزيز الإحساس بضرورة التغيير مع بث الثقة في أفراد الأمة وقدراتهم وإمكاناتهم التي تؤهلهم لحمل مسؤولية التغيير، وذلك عبر إشعار جماهير الأمة بالوضع السيئ الذي تعيشه أمتهم، وإثارة تطلعاتهم إلى تغيير الواقع الذي يستهدف حريتهم ، وحضارتهم ، بل ولقمة عيشهم!! ومن ثم حشد طاقات جماهير الأمة جمياً لتصب في حركة تغيرية تسير بصورة تدريجية وتصاعدية حتى تبلغ ذروة أهدافها بإخراج جماهير الأمة من العبودية التي تؤلمها وتحز في صدورها ، إلى الحرية التي لا تتحقق في ظل منهج من المناهج كما تتحقق في ظل الإسلام.

وهكذا هو التوجيه الإسلامي الشامل.. يطرح الإسلام كمعادلة فكرية وسياسية واقتصادية وأخلاقية ، وذلك في مواجهة المعادلة العلمانية التي تريد إبعاد الأمة الإسلامية عن خط الإسلام لتقربها إلى خط الكفر !

إن الكثير من المسلمين يبحثون عن الطريق إلى الخروج من التبعية الذليلة ، ومن هنا فلا بد أن يقدم لهم التوجيه الإسلامي البديل النظري والواقعي للخروج من هذه التبعية ، ويزيل من أنفسهم أسباب العجز والخلاف ، ويبعث فيها روح الأمل والثقة في القدرة على التغيير والخروج من التبعية إلى الريادة.

إن في الأمة الإسلامية «طاقات وقوى لم تستخدم ، لأننا لا نعرف كيف نكتلها ، وهناك ملايين من السواعد والعقول المفكرة صالحة لأن تشارك في التغيير، والمهم هو أن نعرف كيف ندير هذا الجهاز الهائل المكون من ملايين السواعد والعقول»(٨) لإحداث التغيير المنشود. ولا شك أنه لا سبيل لنا إلى ذلك إلا بالتوجيه الإسلامي الذي ينشر الفكرة الإسلامية بين أفراد الأمة ، وبقدر شمولية هذه الفكرة سيكون اكتساحها للأفكار الجاهلية المثبتة للعزائم.. وبقدر فعالية الأمة في حمل هذه الفكرة ستكون وقوتها القوية في وجه أعدائها ، وسيكون التغيير.

الهوامش :

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

- ١- هكذا ظهر حيل صلاح الدين - د. ماجد عرسان الكيلاني ص ٣٠٣.
- ٢- المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري - د. محسن عبد الحميد ص ٣٣.
- ٣- المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري - د. محسن عبد الحميد ص ٩٩.
- ٤- تطلق كلمة (خطاب) في علم النفس الاجتماعي على كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتلقي أو الكاتب ، وتهدف إلى التأثير على المستمع أو القارئ.
- ٥- مستفاد من كتاب : مشكلة الثقافة - مالك بن نبي ص ١٠٩.
- ٦- مقومات التصور الإسلامي - سيد قطب ص ٢٨٩.
- ٧- المعاصرة في إطار الأصالة - أنور الجندي ص ٥٣.
- ٨- مستفاد من كتاب : مشكلة الثقافة - مالك بن نبي ص ٦٤-٦٥.

الفلاح المصري كما يراه اليهود

د. أحمد إبراهيم خضر

كل فلاح مصرى يغادر قريته متوجهًا إلى المدينة للدراسة أو للعمل أو للزيارة يشكل خطراً على اليهود . وتنقاوت درجات هذا الخطر تعظم إذا سافر إلى القاهرة بالذات ، وتحف قليلاً إذا ذهب إلى عاصمة محافظته ، أو إلى مدينة من المدن التي تبعد عن قريته ، وإذا عاد إلى قريته بعد انتهاء مهمته في المدينة فهو مصدر خطر أيضاً.

الفلاح المصري كما تقول دراسات الباحثين اليهود، متميز عن أي فلاح آخر في بلاد ما يسمونه (بالشرق الأوسط) أو (الهلال الخصيب) بمواطنته على الصلاة في المسجد ، ولا تكاد تخلو قرية من قرى مصر من وجود مسجد بها يذهب الفلاحون إليه للصلاة.

القرية المصرية كانت لقرون عديدة تدفع بأبنائها إلى القاهرة لدراسة الدين في الأزهر. وكان الأزهر إلى عهد قريب الطريق الأكثر تميزاً في تحقيق نقلة اجتماعية ذات قيمة لأبناء القرى. إن العديد من العلماء بل إن أكثر من نصف شيوخ الأزهر ينحدرون من أصول ريفية. كان الأزهر في الماضي قلعة الدفاع عن الدين ، وموقع مختلف الأنشطة الدينية ، أما اليوم فإنه تحت قبضة الحكومة ويُخضع لإشراف وضبط قوي من جانبه ، فتحول إلى موقع مسالم يندر أن يجد فيه أي نشاط معاذ للحكومة فرصة للظهور(١).

إذا تعلم الفلاح المصري فسيصبح يوماً ما خطراً على اليهود ، لأنه قد يصبح عضواً في جماعة إسلامية. وإذا ذهب الفلاح المصري إلى القاهرة فأين سيقيم : في الجمالية ، أو في الدرب الأحمر ، أو في الحسينية ، أو في منطقة حزام الفقر القاهري ، أم سيقيم في الحلمية الجديدة أو القصر العيني ؟ وكل هذه المناطق لها دلالاتها عند اليهود.

أما إذا ذهب إلى المدن الكبرى في المحافظات فإن الخطر على اليهود قائماً. هناك الجامعات الإقليمية ، وهناك فرص العمل ، ووسائل الراحة ، وهناك الجماعات الإسلامية أيضاً. أينما ذهب فإنها هناك سواء ذهب إلى الإسكندرية أو بور سعيد أو الزقازيق ، أو ذهب إلى طنطا ، أو نجع حمادي ، أو غيرها من مدن المحافظات التي لم يكن لها ذكر في الماضي على خريطة مصر السياسية.

إذا ذهب الفلاح المصري إلى الصلاة في المسجد أو في المدينة ، أو استمع إلى حلقات الدروس التي يتعلم فيها أصول دينه ، أو اشتراك في جمعيات إسلامية خيرية فإن الخطر على اليهود قائماً أيضاً. من الخير للفلاح المصري - كما يرى الباحثون اليهود - أن يقرأ جريدة (اللواء الإسلامي) لأنها الجريدة التي أنشأتها الحكومة بغرض محاربة ما يسمى (بالنما و الخطأ للأصولية)(٢).

لا ضرر من أن يستمع الفلاح المصري إلى إذاعة القرآن الكريم ، أو إلى البرامج الدينية في الراديو والتلفزيون ، لكنهم يحذرون من دروس الشيخ الشعراوي الذي كانوا يرونها يوماً هذا الوزير الذي دفعته السلطات للدفاع عن الخط العصري ، ثم عادوا يعتبرونه اليوم أحد الأصوليين. على الفلاح المصري ألا يقرأ كتابات الشيخ كشك التي تذكرهم بكتابات الإمام حسن البنا، ولا أن ينظر في مؤلفات سيد قطب. لا ضرر من انضمام الفلاح المصري لحلقات الصوفية ، مع الحذر من أن تكون هذه الحالات معبراً إلى الجماعات الإسلامية.

(القرية التوبية) قنبلة زمنية موقوتة يحسب لها اليهود حساباً دقيقاً ، كما كان النصارى يفعلون من قبل ، فسلطوا عليها مركز بحوث الجامعة الأمريكية بالقاهرة لدراسة ما يسمى بالسلوك الديني للقروي التوبية. اليهود قلقون من البعث الديني في قرى التوبة ذات المستوى التعليمي المرتفع ، وقلقون من اتجاه نساء التوبة نحو الإسلام الصحيح ، لكنهم مطمئنون إلى أنها لا زالت بعيدة عن مرمى الجماعات الإسلامية.

لقد فشلتحركات الإسلام - كما يرى الباحثون اليهود - في تجنيد أتباع لها في القرى المصرية ، لكن الحقيقة المفزعـة هي أن القرية المصرية هي التي ولدت (حسن البنا) في المحمودية في عام ١٩٠٦ . وأكـد اليهود (لروبرت ميتـشيل) أن (المـحمودـية) قـرية وليسـت مدـينةـ كما كانـ يتـصورـ وهو يـكتبـ عنـ تنـظـيمـ الإـخـوانـ المـسـلـمـينـ. (حسـنـ الـهـضـبـيـ) - خـلـيـفـةـ الـبـنـاـ - ولـدـ فـيـ قـرـيـةـ (عربـ الصـوـالـحةـ) فـيـ منـطـقـةـ شـبـيـنـ عـامـ ١٨٩٠ـ. (سـيدـ قـطـبـ) المـحـركـ الأسـاسـيـ لـلـفـكـرـ (الأـصـوليـ) - كـماـ يـرىـ الـيهـودـ - ولـدـ فـيـ قـرـيـةـ (موـشاـ) بالـقـرـبـ مـنـ أـسـيـوطـ.

إنـ مـدـنـاـ مـثـلـ طـنـطاـ وـأـبـوـ تـيـجـ وـأـقـصـرـ كـانـتـ فـيـ الـمـاضـيـ مـجـرـ مـرـاكـزـ تـجـارـيـةـ إـقـلـيمـيـةـ، وـأـمـاـكـنـ لـلـأـضـرـحةـ وـالـقـبـابـ وـالـاحـتـفالـاتـ بـالـمـوـالـدـ، تـجـذـبـ إـلـيـهـاـ الـكـثـيرـ مـنـ الـفـلـاحـينـ الـمـصـرـيـينـ ، لـكـنـهاـ الـيـوـمـ - إـلـيـ جـانـبـ ذـلـكـ - تـشـكـلـ مـرـاكـزـ إـمـادـ بـمـاـ يـسـمـىـ (بـالـفـكـرـ الأـصـوليـ) وـ(الـجـمـاعـاتـ الأـصـولـيـةـ). إنـ الـفـلـاحـينـ يـرـسـلـونـ أـبـنـاءـهـمـ إـلـيـ هـذـهـ الـمـدـنـ لـلـدـرـاسـةـ. الـمـوـظـفـونـ يـفـضـلـونـ أـدـاءـ صـلـةـ الـجـمـعـةـ بـهـاـ. إنـ مـدـنـ الـمـحـافـظـاتـ تـعـتـبـرـ مـرـاكـزـ لـنـشـرـ سـلـوكـيـاتـ إـلـاسـلـامـ الصـحـيـحـ ، وـهـنـاكـ يـتـعـرـضـ الـفـلـاحـونـ لـهـذـاـ (الفـكـرـ الأـصـوليـ) كـماـ ظـهـرـ مـنـ تـبـنيـ الطـلـابـ مـنـ ذـوـيـ الـأـصـوـلـ الـرـيفـيـةـ لـهـذـاـ الفـكـرـ.

اهتمامـاتـ الـبـاحـثـيـنـ الـيـهـودـ بـمـاـ يـجـريـ عـلـىـ السـاحـةـ الـمـصـرـيـةـ لـاـ حدـ لـهـاـ ، فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ اـشـغـلـ فـيـهـ الـمـرـاقـبـيـونـ بـتـطـورـاتـ حـرـكـةـ الصـحـوـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ بـمـاـ يـسـمـونـهـ بـالـمـظـاـهـرـ الـعـنـيفـةـ لـهـذـهـ الصـحـوـةـ ، وـدـوـافـعـ قـادـتـهـاـ ، كـانـ الـبـاحـثـيـنـ الـيـهـودـ مـشـغـلـيـنـ بـدـرـاسـةـ الـأـبعـادـ الـعـمـيقـةـ لـهـذـهـ الصـحـوـةـ ، وـعـلـىـ السـاحـةـ الـمـصـرـيـةـ بـالـذـاتـ.

انطلقـ الـبـاحـثـيـنـ الـيـهـودـ مـنـ مـقـدـمـتـيـنـ أـسـاسـيـتـيـنـ بـنـواـ عـلـيـهـمـ نـتـائـجـ درـاستـهـمـ ، تـقـولـ المـقـدـمـةـ الـأـولـىـ عـنـهـمـ إـنـ لـلـإـسـلـامـ مـظـهـرـيـنـ : أـولـهـمـاـ هوـ إـلـاسـلـامـ الصـحـيـحـ (الـذـيـ يـعـتمـدـ عـلـىـ الـأـصـوـلـ) وـهـوـ مـصـدرـ الـخـطـرـ الـحـقـيـقـيـ عـلـيـهـمـ ، لـأـنـهـ يـجـمـعـ حـوـلـهـ مـاـ يـسـمـونـهـ بـوـقـودـ التـيـارـ الـأـصـوليـ وـالـجـمـاعـاتـ إـلـاسـلـامـيـةـ ، وـخـاصـةـ الـمـسـلـحةـ مـنـهـاـ. أـمـاـ الثـانـيـ فـيـسـمـيـهـ الـيـهـودـ بـإـلـاسـلـامـ الشـعـبـيـ ، وـهـوـ عـبـارـةـ عـنـ مـارـسـاتـ لـإـلـاسـلـامـ ذـاتـ جـذـورـ لـإـسـلـامـيـةـ بـعـضـهـاـ فـرـعـونـيـ ، مـثـلـ الـاحـتـفالـ بـعـرـوـسـ النـيلـ وـالـاحـتـفالـاتـ الـزارـ ، وـالـمـوـالـدـ ، وـعـبـادـةـ الـأـضـرـحةـ ، وـاسـتـخـدـامـ التـعاـوـيـذـ وـالـتـمـائـمـ ، وـأـخـذـ الـعـهـدـ ، وـالـحـلـقـاتـ الصـوـفـيـةـ ، وـكـذـلـكـ كـلـ مـاـ يـسـلـكـهـ النـاسـ فـيـ حـيـاتـهـمـ الـيـوـمـيـةـ عـلـىـ اـعـتـباـرـ أـنـهـ مـنـ الـدـينـ ، وـهـوـ فـيـ حـقـيقـتـهـ عـادـاتـ مـورـوثـةـ موـغـلـةـ فـيـ الـقـدـمـ تـعـتـبـرـ مـنـ أـقـدـمـ عـادـاتـ الـأـمـمـ فـيـ الـعـالـمـ.

أـمـاـ المـقـدـمـةـ الـثـانـيـةـ فـتـقـوـلـ : إـنـ السـلـوكـ الـدـينـيـ الشـعـبـيـ ذـاـ الـجـذـورـ إـلـاسـلـامـيـةـ يـنـتـشـرـ فـيـ الـقـرـيـةـ الـمـصـرـيـةـ ، أـمـاـ سـلـوكـيـاتـ إـلـاسـلـامـ الصـحـيـحـ فـإـنـهـاـ تـرـتـبـطـ بـسـكـانـ الـحـضـرـ الـمـعـلـمـيـنـ. لـكـنـ هـذـهـ الـاـرـتـبـاطـاتـ لـيـسـتـ حـادـةـ

ولا قاطعة ، حيث يمكن أن يختلط الإسلام ذو المظاهر الشعبي بالإسلام الصحيح في القرية. ويمكن أن توجد مظاهر عديدة لسلوكيات غير صحيحة للإسلام بين سكان المدن.

من هاتين المقدمتين انطلقت دراسات الباحثين اليهود فانكبوا على دراسة كل ما توافر لديهم من مصادر ودراسات قديمة وحديثة ، لعلها تقيدهم في فهم أبعاد الصحوة في مصر ، والتخطيط لمواجهتها بما يرونها مناسباً. انشغل الباحثون اليهود بمحاولة الإجابة على سؤالين هامين :

الأول : إلى أين تتجه الوفود المهاجرة من الريف المصري إلى المدينة: إلى الإسلام الصحيح ، أم إلى مظاهره غير الصحيحة التي تربت عليها؟

الثاني : هل تفهم الحكومة المصرية وتعي جيداً هذه القضية ، وماذا أعدت لمواجهتها ومدى قوتها وفاعليتها هذه المواجهة؟

تابع اليهود بدايات الصدام بين دعاء الإسلام الصحيح ، ومظاهر السلوك الديني غير الصحيح منذ بداية القرن التاسع عشر. تركز هذا الصدام على شعائر الوفاة وزيارات الأضرحة واحتفالات الزار والحلقات الصوفية ، وقاده في بعض الأحيان الشباب العائد من القاهرة بعد دراسته في الأزهر ، وساعد على توقيه تحسن وسائل الاتصال والمواصلات بين القرية والمدينة.

اليهود مطمئنون إلى أن مظاهر السلوك الديني غير الإسلامي لا زالت قائمة ومنتشرة ومستمرة ، بل إن جانباً منها قد كسي ببطء إسلامي. إنهم مطمئنون أيضاً إلى أن دعاء الإسلام الصحيح لم يتمكنوا بعد من القضاء تماماً على هذه المظاهر. قارن اليهود قائمة الاحتفالات بالموالد والأولياء في القرن التاسع عشر بتلك القائمة الحديثة التي أعدها باحثون مثل (ماكفرسون) في الأربعينيات (بانيرث ودي جونج) في الستينيات والسبعينيات. توصل اليهود إلى أن هناك انخفاضاً في كم الاحتفالات بها ، لكن الشعبية الكبيرة للأضرحة الحسين ، والسبعينيات والشافعي طمأنتهم.

عاد اليهود إلى موقف الأزهر من هذه القضية تاريخياً ، فتوصلوا إلى أن صلابة موقف الأزهر في الدفاع عن الإسلام الصحيح أصبحت في ذمة التاريخ. إنهم اليوم مطمئنون لنجاح الأزهر البالغ في تجنب الجدل الديني حول هذه القضية ، وقدرته على الدفاع عن هذه التركيبة التي تجمع بين الإسلام الصحيح ومظاهره الشعبية ، والفتوى التي تصدر دفاعاً عن هذا الجانب أو ذاك.

ليست للمسلمين العصريين أية جذور عميقية في تربة الشعب المصري - كما يرى الباحثون اليهود - إنهم حركة ظهرت بين الصفة التابعة لل الفكر الغربي - قابعون بأفكارهم في دوائر الحكومة ويكتبون في صحفها. ويدخل الأزهريون الذين يعملون لصالح الحكومة ضمن فئة هؤلاء المسلمين العصريين ، وإن كانت الصحوة الإسلامية قد أوقعتهم في ورطة شديدة.

التغيرات الدينية في القرية المصرية بطيئة و(الفكر الأصولي) أقل انتشاراً في قرى مصر من مدنها. هذا شيء مطمئن ، لكن دخول هذا الفكر إلى القرية في صورة مواد مطبوعة ، أو عن طريق

الزيارات المتكررة لباعة الكتب المتجولين ؛ وجود هذا الفكر بين صفحات الكتب التي يحتفظ بها معلمون المدارس في مكتباتهم المتواضعة بمنازلهم شيء لا يطمئن. الطبيعة المحافظة للقرية المصرية حالت في نظر اليهود دون انضمام القرويين إلى تنظيم الإخوان المسلمين. لم يكن الفلاحون قادرين على وصل الهوة بين ما توارثوه وبين فكر الإخوان. هذا شيء طيب ، لكن الذي ليس بطيب هو أن الفلاحين المقيمين في المدن هم الذين انضموا لتنظيم الإخوان.

الذي يجري في القرية النوبية لا يطمئن اليهود. صحيح أن الحركات الإسلامية المسلحة لم تنجح في جذب شباب النوبة ؛ لكن النوبين بعد استيائهم الجديد ، وبعد تغيير قياداتهم التقليدية ، قد تخلصوا من الكثير من الشعائر ذات الأصل الوثنى ، واعتدلت حفلاتهم الدينية ، وتقلصت حفلات الذكر

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

والزار. ويرجع الباحثون اليهود هذا التفكير الديني إلى حركة الذهاب والعودة المتكررة لأبناء النوبة إلى القاهرة من قرى النوبة ، فيعودون إلى أهليهم بأفكار صحيحة عن الإسلام.

انزعج اليهود من مسألة التعليم الرسمي في مصر ، لقد خطط منذ عشرات السنين أن يؤدي التعليم إلى علمنة البلاد ، لكن الذي حدث بالفعل قد خيب الآمال ، لقد أدى التعليم إلى تغيير الأنماط الاجتماعية الدينية في مصر لصالح (الفكر الأصولي) كما يسميه اليهود. لم يعد يخفى على أحد ارتفاع المستوى التعليمي لشباب الجماعات الإسلامية ، إن نصف هؤلاء الشباب هم طلاب جامعات ، والعديد منهم خريجون مهنيون متعلمون ، وذلك على العكس تماماً من الحالة التعليمية لأعضاء جماعة الإخوان المسلمين في الأربعينيات والخمسينيات. إن هذا الشباب قد درس العلم والتكنولوجيا ، وهم مؤهلون الآن لما يسميه اليهود بمرحلة (ما بعد العصر) وهي مرحلة تطهير الإسلام من شرور السيطرة الغربية وعادات الاستهلاك الترفي ، والعودة بالأخلاق إلى أحضان الإسلام. سيمكن هذا التعليم الشباب من فهم فكر سيد قطب الذي يحتاج إلى درجة عالية من التجريد ، كما حدث ويحدث مع رسائل حسن البنا. وتساهم شرائط الفيديو والكامسيت بدور ملحوظ في هذا المجال.

ارتفاع المستوى التعليمي بين الرجال وانتشار أفكار الإسلام الصحيح ساعدتهم على معارضة انغماط نسائهم في مظاهر السلوك الديني الخاطئ ، والمشاركة في حفلات الزار. وامتد الأمر إلى مطالبة النساء بتخصيص أماكن لهن في المساجد للصلوة وللاستماع إلى الدروس الدينية. لقد حدث ذلك في القرى كما حدث في المدن. حتى المناطق البدوية في مصر اتجهت إلى الإسلام الصحيح فبنت المساجد واستعانت بأئمة لها من الحضر.

إن إذاعة القرآن الكريم والبرامج الدينية في التلفزيون المصري شعبية كبيرة بين الفلاحين. لكن هذه الشعبية لا تلقى اليهود فهي شعبية ناتجة عن إشباع حاجة (عاطفية) وليس (أيديولوجية) . الذي يزعجهم هو أن يبدأ الفلاحون في فهم معاني الآيات التي يستمعون إليها فهماً صحيحاً. هنا سيتجاوز الاستماع حد النشوة والتأثير الروحي بصوت المقرئ إلى حد التفكير والعمل بها ، وهذا ما يحسب له اليهود ألف حساب.

القاهرة بالنسبة للباحثين اليهود هي المنطقة الوحيدة لأنشطة التي تمثل خطراً حقيقياً على الحكومة وعلى اليهود معاً. القاهرة (إحصائياً) هي المستقبل البشري الأعظم للحركات الأصولية. (تاريخياً) انتقل حسن البنا من الإسماعيلية إلى القاهرة في عام ١٩٣٢م. وكسب حافظ سلامة شهرته بعد أن رحل إليها من السويس.

تنقاوت أحياe القاهرة في خطورتها. يصعب على الجماعات الإسلامية - كما يرى الباحثون اليهود - أن تنشر أفكارها في أحياe الجمالية والدرab الأحمر والحسينية ، فهذه الأحياء تقليدية نسبياً ، وتحتوي على أضرحة وقبور كثيرة ، لكن هذه الجماعات يمكن أن تجد لها أتباعاً في أحياe ما يسميه اليهود - بحزام الفقر القاهري - قد تجد هذه الجماعات صعوبة في التغلغل إلى الأحياء المركزية الوسطى بالقاهرة ، كما قد يصعب عليها نشر أفكارها بين أفراد الطبقات العليا - الوسطى ، كما حدث لجمعية الشبان المسلمين التي خسف دورها بسبب مخاطبتها لجماعة عاليه المستوى اجتماعياً وسياسياً وتعليمياً. لكن القادة الدينيين قد ينجحون في ممارسة دور أكبر في التأثير على أفراد الطبقة الدنيا الوسطى ، كما حدث مع الشيخين عبد الحميد كشك وحافظ سلامة ، وقد ينجحون أيضاً في نشر أفكارهم في أحياe منفتحة على الفكر العصري والفكر الأصولي معاً ، مثلما حصل مع الشيخ حسن البنا في حي الحلمية الجديدة.

الحكومة نفسها - في نظر الباحثين اليهود - قد تخدم هذا الفكر (الأصولي) عن غير قصد(*). إنها وهي تحاول استخدام الإسلام لصالحها تغذي السلوك الأصولي والتمسك بالإسلام بين أفراد

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

الطبقات الدنيا من السكان ، كما حدث إبان فترة حكم السادات، حيث ركزت الحكومة على المظاهر الخارجية للشعائر الإسلامية، وحينما استعانت بعض الأحزاب السياسية ببعض المشايخ للمشاركة في برامجها السياسية التي بدأتها بتلاوة القرآن الكريم ، وقدمت تقاويم الصوم في شهر رمضان كهدايا.

لا زالت تجربة الإخوان وغيرهم من الإسلاميين في تقديم البرامج الثقافية الفضول المسائية لمساعدة الناس على فهم أمور دينهم عالقة في أذهان اليهود ، لذلك فإنهم يحذرون من هذه الجمعيات التي تعطي دروساً في القرآن والدين في الأحياء المختلفة. إنها ستجذب بلا شك أعداداً من المهاجرين من الريف ، وكذلك الجمعيات الخيرية والمساجد كلها مراكز تجنيد جاهزة يمكن أن تستغلها الجماعات الإسلامية.

أما كيف يستقبل القرويون المهاجرون إلى المدن الأفكار (الأصولية) والأفكار (القرانية) بالذات فهي منطقة لا تزال تحت أعين الباحثين اليهود ، كما أن أعينهم ترکز عليهم وتراقبهم في القاهرة والإسكندرية وغيرها مما من المدن. هل سيسلكون الطريق إلى الإسلام الصحيح أم سيحافظون على عاداتهم التي قدموا بها من الريف؟

ما عرضناه هو جانب من اهتمامات الباحثين اليهود. كتبوه ونشروه دون أدنى اعتبار لإمكانية استفادتنا منه لأنهم واثقون من مقالة (موشي دایان): «إن العرب لا يقرأون، وإذا قرأوا لا يفهمون».

الهوامش:

- *- يلتقي تحليل اليهود هنا مع تحليل كثير من العلمانيين وفلول الشيوعيين الذين خفتت أصواتهم ، ويعاد النفح فيها من جديد لموازنة ثقل الإسلاميين.
- البيان -

١- انظر : Uri Kupferschmidt, Reformist and Militant Islam in Rural and Urban Egypt, Middle Eastern Studies, Vol:23, 4, Oct. 1987 pp.403-418.

بالرغم من أن هذه الدراسة ظهرت كاملة في عام ١٩٨٧ فإن مسودتها قد قدمت إلى حلقة (دراسة الإسلام بين الريف والحضر في منطقة غرب أفريقيا) التي عقدتها الجامعة العبرية بالقدس في يونيو ١٩٨٣ ،

- ٢- يقول «إيمانويل سيفان) عضو معهد الدراسات المتقدمة في برنسنون ، وأستاذ للتاريخ الأوروبي الحديث وتاريخ الشرق الأوسط في الجامعة العبرية بالقدس ، ورئيس تحرير مجلة (جيروزاليم كوارترلي): «ربما كانت قصة جريدة اللواء الإسلامي من أعظم قصص النجاح العربي الملحوظ في الأعوام الأخيرة. ظهرت الجريدة في عام ١٩٨١ كملحق ديني لجريدة الحزب الحاكم (مايو) وتحولت في عام ١٩٨٢ إلى جريدة أسبوعية مستقلة تصدرها مطبع الحزب الحاكم. إن العالم الذي تتعامل معه الجريدة هو عالم الأشباح والموتى والجن الضار وغير الضار. عالم مليء بغواية الشيطان وأتباعه وعلى المؤمن أن يتوجه إلى أحد الرجال المقدسين أو إلى المعجزات إذا دعت الحاجة. عالم يتصل فيه المؤمن بالموتى وخاصة من الأقارب يومياً. الموت والآخرة والخطيئة التي يستحق عليها العقاب مظاهر دائمة الحضور في الجريدة ، إنه عالم القرؤن الوسطى. إن نوع التدين الذي تقدمه الجريدة لا ينفصل عن النوع الذي يقدمه المسلمون والعصريون الذين يعطون تفسيرات نفسية للأرواح الشريرة والشيطان ويعطون المعجزات أهمية رمزية.

انظر: Emmanuel Sivan, The Two Faces of Fundamentalism, The Jerusalem Q., 27 , Spring, 1983 , pp. 127-144.

شعر

ال بشناق .. والنظام الجديد !!

د. محمد بن ظافر الشهري

سمعت من مصادرٍ قريبةٌ

وثيقة الصلة

«صدىً» لما يقال من بعيد

بأنَّ حلِّ كلِّ معضلة

نظام عالمٍ جديدٍ

* * *

أمركاً.. وهيئة الأمم
كلَّا هما لغة

طالبنا بعودة السلام!

أيدتنا حرية البشر!

نددنا بالقهر للشعوب!

و فكرة السادة والعباد

قررتا أن يحكم «النظام»

نظام عالمٍ جديدٍ

* * *

وأعلنت أمراً كا

في ثوبها الجديد

بأنها قد كفرت

بالنار والحديد!

وأنها قد فتحت

فؤادها الكبير!

وأنها قد سخرت

ذراعها «القصير»!

لنصرة الضعيف

ونجدة الفقير

وقد أشيع أنها

تريد أن تتوب

من كل ما جنته

من «صغار» الذنوب

فما جرى لدولة اليابان

من قديم
وما جرى لكوريا
وحرب فيتنام
وكل من أذلَّ
بل وكل من أبَدَّ
فذاك ذنب واحدٌ
يمحوه أو يزيدُ
نظام عالمٍ جديدٍ

* * *

وأنكرت أمِرِكا جريمةَ العراقُ
في غزوِه الكويتُ
وأجلبت بالغيد والرجالُ
فعادت الكويتُ
وببدأت كارثة البشناقُ
فانتظرَ العربُ
فخامة «اللورنس» أن يجِبُ
وعندما تأخرَ الجوَابُ
وطفتْ تقطُّعُ الرقابُ
وأَتَخَمَ النسورِ والكلابُ
تكررَ النداءُ
فقرر «اللورنس» أن يجِبُ
واستذكرَ التمثيل بالقتيل
وطلبَ «الأمان»
كي يرسلَ «الفسق والحليب»
فصفقَ الجميعُ
وأعلنوا التأييدَ
لكلِّ ما يقرهُ
نظام عالمٍ جديدٍ

* * *

وصرحت أمِرِكا
سادنة الصليبُ
بأنها قد سئمت
من خوضها الحروبُ
فمحنة البشناق لا تقاس بالكويتُ
فلم تكن دماءُهم
مشوبةً بزيثُ
ولم تكن بلادهم
واضحةَ الحدوْدُ

ولم يُصبْ «شيوخهم»
فالقتل للشباب
والحل أن يستبدل «السلام بالتراب»
وخير ما يدعم هذا الطلب السيد
نظام عالم جديد

* * *

أيتها المصادر «القريبة»
أما ترين الفجرَ من بعيدٍ:
«والمارد» القديم قد أفاق
من نومه الطويل
ولن يفيد «القمعُ والوفاق»
فعزمه أكيدٌ
يريد أن يحکم الكتابُ
وينشر السنة والحجابُ
ولن يحول بينه
وبين ما يريد
نظام عالمٍ جيدٍ.

شعر برقية استجاد

أحمد بن عايش المزني

أنا من ليه؟ أنا من ليه؟ من للنفوس الزاكية؟
من للغواي والشيوخ وللعيون الباكية؟
من للأرامل واليتامى والدموع الجارية؟
من للثكالي؟ والضياع يطوف أرض الغالية
من للحوامل؟ بُقرت أرحامهن بأرضيه!!
من للعرايا؟ ألبسوهن الثياب البالية
من للحدائق والمرروج وللبلابل شاديءة؟
من للجبال الشامخات وللقصور العالية؟
أنا من ليه؟ يا أمّة الإسلام قولي : من ليه؟!
إلي القرارات التي فاحت وعوداً خاوية؟!
إلي الكلام منمقًا خطب تردد راغية؟!
إلي القصائد؟ أحسن الشعرا في القافية
إلي الدموع المسيلات من العيون الصافية؟!
يا أمتي أنا لا أريد قصائدً متناجية
يا أمتي أنا لا أريد العين تمسي باكيه

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

يا أمتي أهوى الجحافل زاحفات عاتية
يا أمتي أهوى الجيوش تسير نحو غازية
أهوى الشباب مجاهداً في ظل حرب دامية
أهوى شباباً عزمه دكَّ الجبال الراسية
أهوى شباباً ليس يعكف حول كأس الغانية
كلا ولا يقضي الليالي عند ثغر الشادية
أهواه يحرس جنده في ليلة ما شاتية
يا أمتي طال النفاق بأرضك المترامية
أكثرت من عقد المجالس والنتائج ماهية؟
يا أمتي أنا «بوسنة» أشكو فقولي : من ليه؟
أين الرجال إذا دعوا هبوا لخوض الغاشية؟
أين بنِ مَعْدِي؟ أين خالد؟ أين راح معاوية؟
أين الألى؟ ملؤوا البلاد عدالة ورفاهية
أنا من ليه؟ يا أمة الإسلام قولي : من ليه؟!
فلتقدمي بجحافل صيحاتها متعالية..
فلتسرعني يا أمتي ، أو فابعثي بالتعزية!

المسلمون والعالم المسلمون في رومانيا

محمد عبد الغفور

رومانيا إحدى دول أوربا الشرقية وتقع في شمال شبه جزيرة البلقان ، ويحدها الاتحاد السوفييتي (سابقاً) من الشمال وبلغاريا من الجنوب ، وال مجر من الغرب ، ويوغسلافيا من الجنوب الغربي والبحر الأسود من الشرق.

تبلغ مساحتها (٢٣٧٥٠٠) كم^٢ ، ويزيد عدد سكانها على ثلاثة وعشرين مليون نسمة. أما العاصمة فهي (بوخارست) التي يصل عدد سكانها إلى مليون ونصف ، ومن المدن الشهيرة - كلوج - قسطنطسطة - براسوف. وتعتبر قسطنطسطة مركز تجمع المسلمين على البحر الأسود. تقدر المصادر الرسمية عدد المسلمين بمائة ألف نسمة لكن عددهم أكبر من هذا. والمسلمون ينحدرون من قوميتين رئيسيتين هما: التتر والأتراك إضافة إلى أقلية من الرومان.

تاريخ الإسلام في رومانيا:

دخل الإسلام رومانيا بواسطة أفواج من الدعاة الأتراك التي كانت تجوب سواحل البحر الأسود ، وبقيت الدعوة قائمة على جهود هؤلاء قرنين من الزمن ، حتى فتح العثمانيون هذه البلاد على مراحل منذ عام (١٤١٤ هـ - ٨١٤ م) وحتى (١٤٦٦ هـ - ٨١٩ م) وأمام تساهل المسلمين مع سكان البلاد فقد فضلواهم على تعصب النصارى المتمثل في أسرة - بسبورج - وقد شهد بهذا الأمر (بطريق أنطاكية) وهو يصف الفظائع التي أوقعها سكان بولندا من النصارى الكاثوليك بالنصارى الأرثوذكس. حيث يقول : «إن ضحايا هذه الأحداث كانوا ثمانين ألفاً ، وختم

شهادته بقوله : «أدَمَ اللَّهُ بِقَاءَ دُولَةَ الْتُرْكِ ، فَهُمْ يَأْخُذُونَ الْجُزِيَّةَ الَّتِي فَرَضُوهَا وَلَا شَأنَ لَهُمْ بِالْأَدِيَانِ».»

ولقد أثمرت دعوة التسامح الديني هذه ودفعت بالكثير من سكان رومانيا إلى الدخول في الإسلام ، وخاصة في المنطقة الشرقية التي حافظت على إسلامها بالرغم من كل الاضطهاد الذي وقع لل المسلمين بعد الحرب العالمية الأولى وهزيمة العثمانيين أمام القوى المحلية في المنطقة. والتي اضطرت آلاف المسلمين الرومان إلى الهجرة والفرار إلى تركيا هرباً من الاضطهاد حيث كان عددهم مليوناً ونصفاً وتراجع إلى مائتين وعشرين ألف عام ١٩٢٧ ، ثم واصل المؤشر السكاني التراجع بعد سيطرة الشيوعيين على الحكم.

المساجد في رومانيا:

يبلغ عدد المساجد الأصلية في رومانيا ٦٢ مسجداً حول الشيوعيون أعداداً كبيرة منها إلى مستودعات أو قاعات رقص وملاهي أو فلل للسكن أو زرائب. وقد شاهدت بأم عيني - أثناء استطلاعي في مدينة قسطنطسطنة - مسجداً حوله إلى ملئها. ومنارتة ما زالت موجودة إلا جزءاً العلوي والمحراب لا زال كما هو ، وقد التقينا له بعض الصور. وقد شاهدنا مسجداً آخر بكامل هيئته قد حُول إلى فيلا سكنية للإيجار حيث إن المنطقة سياحية على شاطئ البحر.

ولم يبق من المساجد إلا ٣٨ مسجداً موزعة على مدينة (المجيدية ، قسطنطسطنة ، كوستانجا ، منفاليا ، تولسيه ، بخارست ، بباراغ) ، وأغلب المساجد مغلقة الأبواب لعدم وجود أئمة متفرغين ولتدني رواثتهم. ولعدم توفر الدعاة المخلصين الذين يتولون إحياء هذه المساجد وإعادتها إلى ما كانت عليه ، ولا نقل هنا من تأثير الجانب المادي في هذا المضمار من ناحية الصيانة ومن ناحية تفرغ الدعاة والمدرسين.

المدرسة المجيدة :

يعتبر جميع الأئمة وأصحاب العلم الشرعي في رومانيا من خريجي المدرسة المجيدة المشهورة التي أغلقت أبوابها منذ عشرين عاماً عندما حولها الطاغية شاؤشيسكو إلى جمعية تعاونية زراعية ، وقد عادت المدرسة إلى المسلمين أطلاقاً بعد هلاكه أخيراً ، وتنظر من المسلمين الغيورين وأصحاب النخوة من أغنيائهم أن يمدوا يد العون من أجل إعادة المدرسة لتكون منارة علم لمسلمي رومانيا الذين يعانون عليها الآمال العريضة. مع العلم بأن المدرسة كانت إحدى ثلات مدارس شهيرة في أوروبا الشرقية. الأولى مدرسة الغازي خسروبيك في سراييفو ، والثانية مدرسة ذا النواب في "شومن" ، والثالثة المدرسة المجيدة هذه. وتقع في مدينة المجيدة على الطريق الرئيسي الذي يربط بخارست بالبحر الأسود - قسطنطسطنة.

الدين المعاملة :

كان المسلمون مضرب المثل في الصدق والأمانة بتعاملهم مع الآخرين ، وكان ، الرومان يضربون بهم المثل فيقولون (صادق كال المسلمين) هذا ما قاله المفتى محمد يعقوب والداعية الروماني "سليم صباح الدين".

أما اليوم وللأسف الشديد فيوجد أكثر من خمسة آلاف طالب عربي في جامعات رومانيا ومعظمهم ينسى دينه وإسلامه ويذوب في المجتمع الكافر ، ويعطي صورة سيئة غير مشرفة ، عن دينه وعقيدته وببلاده.

ماذا يطلب المسلمون هناك من إخوانهم:

ويطالب هؤلاء الإخوة بمراكز إسلامية ترعى شؤونهم وتسعى لتأصيل الإسلام في نفوسهم. ويطلب الأخ سليم صباح الدين لمسلمي رومانيا بدعم مادي لترميم وبناء المساجد والمدارس وبإرسال مدرسين وداعية بإيجاد منح دراسية لأبنائهم في بلاد المسلمين. كما يحتاجون إلى مصاحف وكتب مترجمة وأشرطة وغيرها تساعد على فهم العقيدة بمفهومها الصحيح.

وللأسف الشديد فإنه بعد انحسار الشيوعية يتطلع الناس جمياً في أوربا الشرقية لدراسة الأديان عامة. ولذلك فقد استغلت الكنيسة هذه الفرصة الذهبية ووزعت خمسين مليون نسخة من الإنجيل في أوربا الشرقية وبلغاتهم المحلية ، بينما يعجز المسلمون في كثير من البلدان عن طباعة القرآن الكريم ، ناهيك عن ترجمته.

والحزب الشيوعي كان قد قام بإلادة أي صلات ثقافية بين المسلمين الرومان وبين الإسلام. ولم يبق هناك أي نشرة أو كتاب باللغة الرومانية أو التركية تتحدث عن الإسلام.

وقد لاحظت وجود دعاة إيرانيين نشطين وأغلبهم طبعاً من الطلاب ومنظمين بشكل ملفت للنظر ، وعندهم إمكانات كبيرة ، ويحاولون التأثير على الطلاب العرب بنشر مذهبهم بينهم ، مع العلم أنهم في البداية يبتعدون قدر الإمكان عن إثارة الخلافات بين مذهب السنة والشيعة ليتمكنوا من البعض بحسن المعاملة ثم يكشفون عن أنفسهم وحقيقة تعصبهم وعدائهم لكل ما هو غير شيعي.

دور الدعاة :

ولا نغفل في هذا المضمار دور الدعاة المخلصين في نشر الإسلام. حيث يحكي لنا التاريخ عن داعية اسمه : «سامي سالينك» أول داعية مسلم تركي أدخل الإسلام إلى رومانيا قبل دخول العثمانيين بقرنين من الزمن.

ما هذا العداء للإسلام في تونس؟!

مؤمن الشاهد

توقع بعض المسلمين أن يكون العهد الجديد في تونس أفضل من العهد البورقيبي . لقد كان الحبيب بورقيبة واضحاً في حربه للإسلام ، وكان لا يتورع في معظم أحاديثه وخطبه أن يصف الإسلام بالتلخّف والجمود ، وأن يسيء إلى الشعائر الإسلامية ، ويحرض الناس على عدم الصيام حتى يتمكنوا من (العمل) وحتى تتقدم تونس!.

وفعلاً.. تقدمت تونس في عهد الحبيب كثيراً.. لكن إلى الخلف! لقد نجحت في صناعة أخر أنواع (الزلابيا) وأشهى أنواع (الكسكسي) وأجمل أماكن الترويح السياحي الحلال.. وغير الحال!!
وعندما جاء العهد الجديد على أنقاض العهد البورقيبي ظن الناس أن موقفه من الإسلام قد تغير ، وقد قدم بعض التنازلات التي يعلم أنها تهدد المشاعر الإسلامية..

فيبينما كان المخطط البورقيبي الموجه مباشرة من حصن العلمنة الكنسية الفرنسية يتوجه إلى تهميش جامعة الزيتونة وتحويلها إلى كلية هزيلة ، ومراقبة كل أجهزتها مراقبة دقيقة لضمان عدم الحركة في الاتجاه الإسلامي الموضوعي الإيجابي.. جاء النظام الجديد يلعب على هذا الوتر ، فييتظاهر بإعادة مجد الزيتونة ويسمح لها ببعض الانتعاش ، ويأمر رجاله في الإعلام بالتركيز على هذه المنحة الكريمة!! كما يسمح النظام بإذاعة الأذان في التلفزيون عند كل صلاة.. وإذاعة بعض الآيات القرآنية الكريمة!!

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

ومضت شهور التخدير.. وبدأت الحقائق تتكشف...

إن النظام يمنح المسلمين هداياً شكالية ، لكنه يمضي في مخطط هائل يعتمد على القوة والسرعة والذكاء والصمت للقضاء على كل المضامين الإسلامية الحقيقة ..

لقد أفرج عن المسلمين المحكوم عليهم ، ليتصادر كل حقوقهم في الحياة في ظلال دينهم.. لقد أعطاهم الدنيا ليعطوه الدين ، فلما تبين له أن الناس لا يقبلون هذه الصفة الخاسرة ، صادر - فوراً - كل حقوقهم في الحركة والعمل والحوار ، مستخدماً شعارات كاذبة يرفضها أنصاف المتقفين ، فضلاً عن روح العصر الديمقراطي.. وقد باهت كل محاولات الإسلاميين للحوار مع النظام بالفشل ؛ لأن النظام كان يريد موقفاً واحداً محدداً ، وهو ترك الهوية الإسلامية ، وعدم الإلحاح على التعليم العربي أو التربية الإسلامية.

إن الصفة التي كانت قد أبرمت مع العهد الجديد فيما يبدو كانت صارمة من هذا الجانب ، وهي لم تسمح بأية ثغرات ينفذ منها العمل الإسلامي ، ومن هنا روج النظام لشعار (تجفيف المنابع الإسلامية) أي استئصال كل فكر يحقق الانتماء الإسلامي.. أو يحافظ على الهوية الإسلامية أو الشعور الإسلامي الحي الدافق !!

وفي مقالة الأهرام القاهرة الصادرة بتاريخ ١٩٩٢/٨/٥ يتحدث « غالى شكري » عن مذبحة الكتاب العربي في معرض الكتاب بتونس [غالى شكري - بالمناسبة - كاتب لا يمكن وصفه بالتحيز للإسلام أو الدفاع عن قضيائهما أو التطرف له] فيأسف « شكري » لأن السلطات التونسية رفضت أن يعرض في معرض الكتاب العربي الذي عقد بتونس أي كتاب إسلامي سواء كان الكتاب للشهيد « سيد قطب » أو للشيخ « محمد الغزالى » أو للشيخ « محمد متولى الشعراوى » على اختلاف مستويات التعبير عند هؤلاء !!

بل إن هذه السلطات قد ارتكبت جريمة كبرى في حق العروبة والإسلام وحرية الفكر ، حين منعت الإنتاج العلمي لمؤلفين إسلاميين وعرب بالجملة.. فليس الأمر مصادرة لفكر معين ، ولا لكتاب واحد ، بل هو مصادرة للفكر الإسلامي بالجملة.

وما ي قوله « غالى شكري » صحيح ، لكن « غالى شكري » لم يتطرق لتفسير ذلك ، واكتفى بالأسف من هذا الأسلوب المتختلف المناهض للفكرة القومية القائمة على تواصل الفكر.. والحقيقة أن النظام التونسي الحاكم لا يؤمن بتوالى الفكر لا على أساس العروبة.. ولا على أساس الإسلام ، بل يؤمن به على أساس فكر آخر لا يمت للإسلام ولا للعروبة بصلة ، وهذا ما تؤكد مسيرة هذا النظام منذ ثبات قواعده ، وعبر حاجز البورقيبية ، وضمن السيطرة على الأمور.. ونزيد الأمر إيضاً في السطور التالية..

لئن كان النظام قد أعطى الشعب التونسي المسلم بعض المظاهر الشكلية الإسلامية التي داعبت وجданه وألهبت خياله بأمال عريضة ، بعد أن عاش أكثر من ثلاثة عقود تحت القهر البورقيبي العلماني : فإنه - في مجال الفعالية الحقيقة - قد أعطى الشيوعيين والعلمانيين والمتقرنيسين الواقع التربوية والإعلامية والحزبية..

فالأستاذ محمد الشرفي (أحد كبار الماركسيين) عين كاتباً للدولة لشئون التربية (وزير التربية) وهو منذ احتل موقعه الوزاري يمشي بخطوات سريعة وقوية في سبيل علمنة المناهج وإزالة أية بصمات عربية أو إسلامية منها(٢) ، وقد جعل المادة الدينية هامشية للغاية ، وكيفت المادة لتصبح معبراً عن الفكر اليساري التقديمي ، مثلما كانت المادة تكيف في البلاد الشيوعية أيام سيطرة الفكر الشيوعي. كما شكل الوزير لجاناً تعمل بتوجيهه المباشر لتنقية كتب الأدب والمطالعة والإنشاء والنحو والتاريخ والجغرافيا من التأثيرات الإسلامية. والأستاذ (محمد الشرفي) [وزير التربية] عرف بتطرفه الشيوعي

منذ العهد البورقيبي ، وقد سجنه الرئيس (بورقيبة) لفترات طويلة ، ومن الغريب أنه في عهد الزوال العالمي للشيوخية يقع عليه الاختيار من قبل النظام التونسي ليصبح وزيراً لأخطر وزارة (وهي وزارة التربية) في بلد حاول نظامه أن يتظاهر بالإسلام لعدد من الشهور !!

والملاحظ أن العهد الجديد (عهد الرئيس بن علي) يستعين بالشيوخين في موقع كثيرة ، على أساس أنهم الأنكى والأقدر على استئصال البصمات الإسلامية ، وأيضاً لكي يثير الإسلاميين ويغيظهم ، فيندفع بعض الأحداث من لا يعرفون الخطة التي يهدف إليها النظام ، فيقعون في بعض الأخطاء ، فيعطون الحكم الفرصة الذهبية للإجهاز عليهم!! ومع ذلك فالنظام قد لا يحتاج كثيراً لهذه الأخطاء ، فقد تعلم من بعض النظم المتخصصة في حرب الإسلام وسائل تلقيق التهم ، والاعتماد على هذا التلقيق لضرب الجميع وتشويه الإسلام ، وتحريض الغوغاء ضد الجماعات الإسلامية المسكينة ! وبما أن النظام التونسي يتعرض لضغوط علمانية كثيرة ذات صلة قوية به ، فإنه لم يتحمل الصبر كثيراً على تمثيله (إنقاذ الزيتونة) وإعادة غابر مجدها ، حتى تصبح - كما كانت - صنو الأزهر أو قريبة منه.. ولهذا لم يلبث أن انقلب على الزيتونة فشل حركتها ، ولم يمنها - من الناحية العملية - إلا الوعود المعسولة.. وفي ضوء هذا فإن مدير الزيتونة اللذين تناوبا عليها وهما «الدكتور التهامي نجرة» و«الدكتور أبو لبابة حسين» لم يستطيعاً أن يفعلا شيئاً يذكر ، بل أقبل الأخير إقالة غير كريمة ، مع أنه كان حريصاً على دفع عجلة الإصلاح بهدوء ورفق !!

وقد أصبحت الزيتونة الآن تحت التوجيه المباشر لرجل الدولة القوي الدكتور علي الشابي (كاتب الدولة للشؤون الدينية) الذي يشبهه - تماماً - وزير الأوقاف المصري الدكتور محمد علي محجوب (إنه وزير التطرف وكفى) !!

وقد مكن الدكتور الشابي لابن أخيه (أنس الشابي) الذي تخرج على يديه في فرع الشريعة بالزيتونة ، مع أنه ينawi الشريعة ويصفها بنعوت لا تليق ، وهو يتحرك في الزيتونة على أساس صلته بخاله (علي الشابي) ، ويفعل ما يشاء !!

وقد صدر توجيهه بتقليل عدد الطلاب الملتحقين بجامعة الزيتونة ، وفي العام ١٩٩١ لم يدخل الجامعة أكثر من (٢٠ طالباً) موزعين على الكليات الإسلامية الثلاث : الشريعة وأصول الدين واللغة العربية والعلوم الإنسانية ، وقد عطل مسار الرسائل الجامعية للماجستير (دكتوراه الدرجة الثالثة) والدكتوراه (دكتوراه الدولة) فأرغم الطلاب الممتازون والأساتذة الأكفاء في الزيتونة للبحث عن العلم في معاهد وكليات باريس ، وكان هذا هو المقصود ، كما هاجر بعضهم للعمل في الجزائر وال سعودية وغيرهما ، وقد ضيق على الأساتذة الأكفاء المعتدلين وأقصوا عن المجالس العلمية (المنتخبة) ووضع بدلاً منهم بالتعيين الجيري بعض تلامذتهم ومساعديهم من الرتب الإدارية السفلى !! ولم يكن هذا كل ما أصاب الزيتونة في العهد الجديد الذي كان يعتبر اهتمامه بالزيتونة مفخرته التي يدل بها على الشعب التونسي المقهور ؛ بل تمادي النظام في غيّه ، فقد قام بإضعاف البرامج وتهميشه الجوانب الأصلية فيها ، وتمييع حفائقها الإسلامية لتواكب الفكر العلماني المهيمن ، وقد وكل إلى تلامذة الدكتور (علي الشابي) مسؤولية وضع برامج من وجهة نظر أحادية ، وكان له شخصياً الكلمة الأولى والأخيرة في هذه البرامج.

ولي ضمن الدكتور الشابي (وهو كاتب الدولة للشؤون الدينية ولا علاقة له عملياً بجامعة الزيتونة) تنفيذ سياسة الدولة التي فوض في فرضها على الزيتونة ، فإنه وضع تلامذته وأصدقائه على رأس الكليات الزيتونية الثلاث ، فعلى رئيس الشريعة : (حمودة السعفي) وعلى رئيس أصول الدين (جلول الجريبي) وعلى رئيس العلوم العربية والاجتماعية (محسن العابد).. أما رئيس الجامعة بعد إقالة الدكتور أبو لبابة حسين (بطريقة غير كريمة) ، فكانت من نصيب تلميذ الشابي (عبد المجيد بن حمدة)...!!

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

وهكذا عادت الزيتونة سيرتها الأولى في العهد البورقيبي ، لينشغل أسانتتها وطلابها المساكين بصراعات القوى المتطاحنة ، وليخاف الجميع من الجميع ، وتنكسر نفوس الجميع ، وينكمش الجميع منتظرين الفرج القريب !!

ومن الغرائب أن جامعة الزيتونة (الإسلامية) يفرض فيها الاختلاط ، ويروج للعربي الفاضح بين الطالبات والموظفات ، وتمتنع فيها الصلوات الجماعية ، وأصبح مسجدها خالياً من المصليين.. وقد برمت الدراسة في الزيتونة بطريقة غريبة تدل على المؤامرة الماكرة ، فالدراسة لا تزيد عن أربع ساعات فقط ، [بالضبط لا تزيد الدراسة عن مائتين وأربعين دقيقة من الساعة الثامنة حتى الساعة الثانية عشرة] ، وبعد ذلك ينصرف الجميع حتى لا يجتمعوا لا في صلاة ، ولا يألفوا الصلاة جماعة ، ولا يظهروا الزيتونة بمظهر إسلامي نشار عن السمعونية العلمانية العامة المفروضة على كل معاهد التعليم ومدارسه في تونس المسكينة (الأندلس الجديدة) !!

نعم : هذه الجامعة الإسلامية العريقة لا يسمح بطلب العلم فيها إلا أربع ساعات فقط في اليوم !! ثم تغلق أبوابها لتبقى أفريقيا شمالي وشرقاً ووسطاً وجنوباً مهيئة لمدارس التنصير وكليات التنصير !! والهazard الحذار من أي معروف أو نهي عن منكر في الزيتونة فإن رجال البوليس السوري مندسون في كل مكان يحافظون على الفساد ، ويعتقلون كل من تسول له نفسه (الطرف) بمقاومة المنكر حتى ولو بالكلمة الهادئة الحكيمة! وحتى ولو في داخل واحدة من أقدم الجامعات الإسلامية الثلاث العريقة في العالم الإسلامي !

والويل لمن يشتبه في تعاطفه مع الإسلام من الأساتذة في الزيتونة أو في أي جامعة تونسية .. إنه ينحي عن كل اللجان وعن الخطط والمسؤوليات ، وعن التكليف بمهام ، ويوضع تحت الرقابة المباشرة وغير المباشرة !

فإذا تركنا الزيتونة وحالها المبكي وانتقلنا إلى الحياة الاجتماعية وجذنا فرض التفسخ والعربي ، والزنا والسماح (ال رسمي) بالمواخير التي تشرف عليها وزارات السياحة والصحة.. وقد أصبح ممنوعاً رسمياً توظيف المحجبة ، وقد وضع رجال الفكر الحرّ والمتدينون تحت أجهزة الرصد والتنصت ، وأصبحوا يعيشون في خوف من الملاحقة والتهديد بالطرد والإيقاف. وقد نجح الشيوعيون الذين قربهم النظام ليضرب بهم الصحوة الإسلامية - في الإيقاع بين النظام والشعب ، وبعد أن كان النظام يحظى بعطف شديد بعد طرده لعدو الإسلام الحبيب بورقيبة - أصبح الآن بعيداً عن كل صور الحب والعطف ، وأصبح الناس يعيشون معه مثلاً يعيشون تحت قبضة أي نظام قمعي شمولي يكره الإسلام ويتدبرع بكل الوسائل والمغالطات من أجل تشويهه ومنع الناس من الحياة في ظلاله !! إن الشعب يقرأ الصحفة فلا يجد فيها أثراً للإيمان ، بل كل من فيها هم من الشيوعيين واليساريين والعلمانيين من أمثال زكرياء كريشان ، ومحمد الطروdi ، وأنس الشابي ، ومنظر الرويسي (وزير الثقافة المعزول) وحمد النمير صاحب مجلة (٢١ / ١٥) الأسبوعية اليسارية.

ولا توجد مجلة إسلامية في تونس إلا مجلة دار الإفتاء الدورية التي تقدم بحوثاً أكاديمية ميتة أو ردوداً على استفتاءات ولا علاقة لها بمساواة الشعب التونسي المسلم ، ولا بالمؤامرة التي تمضي في صمت لاستئصال الإسلام والعروبة في تونس ، ويساعد على نجاحها كتابة الدولة للشؤون الدينية ، وبعض رجال الزيتونة !!

أما كتابة الدولة للعدل فهي مستعدة للوقوف ضد كل بادرة إسلام ، وضمان الحكم بأسوأ الأحكام ، والمساعدة على تلقيق التهم وإحضار شهود الزور.. وعلى رأسها رجل ذو تاريخ مشبوه معروف ، وسمعته الوظيفية والأخلاقية ملوثة.

بقي أن نذكر أن مفهوم (النطرف) يختلف في تونس عن مفهومه في مصر أو الجزائر أو في أي بلد عربي أو إسلامي ، ولا حتى أمريكي أو أوربي.

إن مقاومة النطرف تعني عند هؤلاء جميعاً : الوقوف ضد الإسلام الحضاري والسياسي ، وحصار الإسلام في نطاق العقيدة والعبادات من صلاة وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً...

فلا مانع لدى أمريكا وأوربا من الصلاة والصيام والحج ، وكذلك لدى كل النظم العلمانية الموجودة .. و يأتي (النطرف) عندما يحاول المسلمون إصلاح الدنيا بالدين ، أو الحكم على الدولة وقياس أعمالها بمبادئ الإسلام.

لكن النطرف في (تونس) مختلف تماماً عن (النطرف) عند كل هؤلاء.. إنه نطرف تقدم خطوة كبيرة، فحصر الإسلام في دائرة العقيدة القلبية ، وضم العبادات إلى قائمة (النطرف).. وعلى ضوء هذا فإن كل من يصلي ، ولا سيما إذا كان شاباً أو شابة أو مسؤولاً أو موظفاً أو رجل شرطة أو جيش هو (متطرف) ويجب تحيته.. وقد يتوجّز مع صلاة الجمعة لصعوبة حصار الناس ومراقبتهم فيها ، أما في غيرها من الصلوات فإن أداءها في المساجد (وحتى لو اكتشفت في البيوت) يعتبر تطرفاً.. ولهذا لا تفتح المساجد إلا في أضيق الحدود! وكذلك لا يسمح بدورس، ولا يوجد مساجد في المؤسسات حتى مسجد دار الإفتاء تم إغلاقه! ومن باب أولى لا توجد مساجد في الجامعات ولا الكليات.. وقد وقع الرجوع إلى قانون (١٠٨) الذي يمنع الفتيات من الحجاب في المدارس الإعدادية والثانوية والكليات.. لأن الحجاب - كذلك - مظهر من مظاهر التطرف !!

أما العري والاختلاط والخمور التي تباع في أصغر الحوانيت، وصور التبذل الرسمي الحرام تحت بند السياحة والترويج ، فهي اعتدال وتقديرية . ومصدر خير للبلاد والعباد!

أيها المسلمين.. في أنحاء الكرة الأرضية : في تونس القيروان في تونس عقبة وحسان.. هناك بوسنة وهرسك أخرى يذبح فيها الإسلام والمسلمون بطريقة صامتة، وقد تولولون عليها يوماً وتكون دماً وتحتجون بجهلهم وغفلتهم.. ألا هل بلغت... اللهم فاشهد.

الهوامش:

١- غالى شكري قبطي، ومن تلاميذ لويس عوض ، يحمل قلم الدفاع عن الأقباط واتجاهات اليسار.
- البيان -

٢- الشيوعيون في بلادنا أبداً عملاً لكل معاد للإسلام يستخدمهم لموازنة ما هو شائع، من مبدأ: لا يقل الحديد إلا الحديد.

مقتل الدكتور علي مظفريان

مبارك المبارك

قتل قبل مدة وجيزة الداعية الفاضل الدكتور علي مظفريان وهو من أبناء الشيعة في Shiraz ، ومن الذين هداهم الله إلى الحق وترك الابداع ، وبعد أن من الله عليه بالهداية قام داعية إلى مذهب أهل السنة في بلده - Shiraz - وذلك أيام دراسته في الجامعة.

وكان حجر عثرة أمام الجامعة وقيادات الرافضة في ذلك البلد ، وقد هدى الله على يديه خلقاً من الناس ، واتف حوله أهل السنة في بلده ، وأصبح موجهاً لهم وداعماً ، وثبت وصبر رغم المضايقات الشديدة التي تعرض لها بسبب جهه بالدعوة إلى الحق في وسط أهل البدعة والرفض ، مما حدا

بالسلطات أخيراً إلى اعتقاله قبل أشهر ثم إعدامه أخيراً بعد الصاق التهم به ومنها الوهابية والجاسوسية وغيرها.

وقد حاولت السلطات إرغامه كي يخط بيده اعتذاراً أو تراجعاً ، لكنه أبي وقد زورت السلطات شريطاً يتضمن اعترافات مزعومة (الشخص آخر قام بتمثيل دوره) لكن الأمر انكشف للناس. ويعتبر الدكتور علي ثالث ثلاثة من قيادات أهل السنة الذين أعدموا مؤخراً وهم : ناصر سبحانى (من كردستان) ، والثانى قدرة الله جعفرى الخراسانى.

مقال

الانتخابات الأمريكية : المطلوب استعمار استثماري

د. عبد الله عمر سلطان

«تعيش أمريكا حالة إجهاد شامل مصحوب بكثير من الفرق والتوتر ؛ وتنسأ عن المستقبل الذي يبدو ملبداً بالتحديات والمخاطر.. لقد جاء ريجان إلى سدة الرئاسة وهو يمثل الأمل بالنسبة للناخب الأمريكي.. الأمل من حالة يأس مشابهة عاشها الشعب الأمريكي في نهاية السبعينيات ، حينما بدأ النظام السياسي والرئاسي عاجزاً عن تخطي حواجز الواقع المكفره.. لكن الفرق بين المصير القائم والتاريخ القريب أننا اليوم نعيش تحديات أكبر وواقعاً أكثر صعوبة وتجربة مرة كان أكبر من صنعها فريق ريجان - بوش وتيارهم اليميني المتطرف». هذه الشهادة للكاتب والمفكر الأمريكي «ديولي» تلقي الضوء على الواقع الذي تواجهه الجموع الأمريكية وهي تجتاز المرحلة الحاضرة التي ترافقتها انتخابات الرئاسة لعام ١٩٩٢ ، جزء من هذا الواقع الصعب كان نتيجة للفراغ الهائل الذي لخصه «ليستر ثورو» بروفسور العلوم الاقتصادية في جامعة هارفارد في كتابه الجديد «رأساً لرأس» بقوله: «عندما وقف رونالد ريجان خلال حملته الانتخابية رافعاً شعار إنهاء الحظر السوفويي شبهه بدب في الغابة بعض الناس يرون أنه شاخصاً أمامهم، وأخرون لا يرون أنه دب لطيف.. نحن نراه ونعرف أنه دب خطير متواحش.. السؤال هو: ألا يجب أن تكون حذرين؟.. هذه الصيحة التحذيرية أوجدت دوياً هائلاً في ذلك الوقت لكن من يستطيع أن يحفز الأمريكي على مواجهة مماثلة بعد موت الدب فجأة حيث غدت الغابة آمنة..!» نعم لقد وجدت أمريكا نفسها تعيش في حالة غريبة كانت تحلم بتحقيقها وفجأة بينما تم لها الانتصار على الخطير الشيوعي وجدت عالماً مختلفاً عن ذلك العالم الذي تحورت حوله السياسة الخارجية الأمريكية في الأربعين عاماً الماضية وانعكاسات ذلك على الصعيد الداخلي.. ، وهكذا كان على أمريكا أن تواجه استحقاقات وثمن المواجهة الباهظة: استنزاف هائل للثروة من أجل إقامة ترسانة عسكرية هائلة ورهيبة لم يعرف لها الكون مثيلاً ، مما أثر على الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية من جهة الإنفاق والاهتمام ، وتفضيل للشركات الضخمة المتحالفه مع الحكومات اليمينية المتعاقبة في مجال الضرائب ، مما أفرز زيادة ضخمة في ثروات رجال الأعمال الأغنياء أصلًا ، وزيادة الفقر والحرمان في المجتمع الفردي التوجه إلى حد الأنانية ، وتكريس للمصطلحات

والطروحات اليمينية التي جلبها الجمهوريون كقطاء عقدي في مواجهتهم الشرسة للعصر الليبرالي الذي ساد أمريكا قبل صعودهم للسلطة ، وإدراك قوي لدى قادة الرأي والمفكرين بتقلص القدرة الأمريكية على منافسة القوى الدولية الصاعدة كأوروبا واليابان اللتين تسعian حثيثاً إلى تقليل النفوذ

هدية لمكتبة شبكة مشاكرة الإسلامية

والسيطرة الأمريكية ، وتوجه متسارع من قبل اليمين الأمريكي لاقتناص الفرصة والدخول في معارك ساحتها العالم الثالث للاستحواذ على الثروات والأسواق وتصدير الثقافة كما تفعل الإمبراطوريات المادية النهمة كلما شعرت أن عصرها يوشك على الأفول ، وأن القوة العسكرية التي صنعتها تراكمياً لعقود هي الميزة الوحيدة الباقية لابتزاز وإخضاع القوى الضعيفة ، لا سيما تلك التي تحمل نحوها كرهًا حضارياً وتاريخياً.

دلائل الانتخابات الأمريكية:

هذه الشهادات والمشاعر تصب في خانة اليأس والقنوط في الواقع القائم والمطالبة بالتغيير والبحث عن بديل.. هنا لا يجد الناخب الأميركي غضاضة من إبراز «روس بيرو» كمرشح للرئاسة وهو بليونير لا يملك أي برنامج سياسي واضح ما عدا كلمة واحدة : التغيير.. لكن دون تحديد الوجهة أو الطريقة.. من هنا انسحب «بيرو» من سباق الرئاسة في مرحلة سابقة ، ثم ما لبث أن عاد إلى حلبة السباق حيث هناك فراغ هائل أكبر من قامة كلا المرشحين.. أو بعبارة مجلة فورين أفيرز: «تراكم قوة الرغبة في محاربة الواقع القائم من قبل الناخبين مقروناً بمشاعر متدفعة من القلق والتشاؤم والتصميم على قلب الوضع القائم في واشنطن».. ربما يقول البعض إن السبب لبروز هذه المشاعر هو الكساد القائم لكن في هذا الطرح تبسيطًا للعلاقة وطرحًا فجأً لنظرية السبب والنتيجة ، لقد عاش الشعب الأميركي كсадاً أفظع خلال عامي ١٩٨١-١٩٨٢ لكن مشاعر الحنق أعلى الآن من مثيلاتها قبل عقد مضى.. ويبدو أن الرئيس حينما يراجع سبب تراجعه في الإحصاءات إلى العامل الاقتصادي وحده يغالط نفسه وجمهوره.. إن الاقتصاد أحد أعراض مرض أمريكا الحالي والمتفسّي دون محاولة جادة من قبل المسؤولين لتقديم العلاج ، وإن عدم الاستجابة ذاتها يجعل الأميركيان يشعرون بالعجز

هديّة لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

والخجل من أمريكا التي تقدم نصائحها للعالم ، بينما تتناسى العار الذي اكتنفها».. وهكذا فإن شعارات كانت مستهجنة أصبحت مقبولة فباتريك بوكانون مثلاً تقدم للترشح عن الحزب الجمهوري رافعاً شعار: «أمريكا أولاً وثانياً وثالثاً» بصورة انعزالية تدعى إلى انكفاء أمريكا على مشاكلها وترك العالم الخارجي و شأنه ، ومع أن هذا الشعار كان مطروحاً قبل بروز أمريكا في أعقاب الحرب العالمية الثانية إلا أن رواج هذه المقوله في هذه الحملة وحصول بوكانون على ما يقارب من ٢٠ - ٢٥ % من أصوات الناخبين يبرز الرغبة الملحة للتغيير لدى الناخب الأمريكي ، والمطالبة بتغيير سلم الأولويات وربما السياسات التي كانت متتبعة خلال نصف قرن.. وهكذا فإن المرحلة المقبلة ستكون بداية تشكل طروحات جديدة تعالج الدور الأمريكي على الساحة الدولية وال موقف من التحديات الداخلية وموقع المنافسة في ظل نظام متغير ومنافسين جدد..

ومن الطريق أن السياسة الأمريكية وطروحات بوش واليمين الأمريكي المطالبة بتصفية مخلفات الحرب الباردة ووجوهاً في العالم الثالث ، لتحقيق هيمنة أكبر ونصر ساحق في عصر الاجتياح الأمريكي قد يطبق على رموز الحرب الباردة وزعمائها في أمريكا وبواسطة الناخب الأمريكي.. وإذا حصل هذا فإن أفكار اليمين المتطرف وزعامة الرئيس الأمريكي ستكون أول الضحايا ومقدمة الرموز التي ستسقط في هذا السياق.

الخروج من الشرنقة:

من المناحي البارزة في الحملة الانتخابية الحالية أنها تعالج - كما فعلت الحملات السابقة - مازق الماضي وطروحات الستينيات الميلادية. إن بداية سقوط الإمبراطوريات العظمى يرافقه ميل إلى الانكفاء نحو الماضي الرامي إلى تصفية حسابات القوى السياسية ، حتى يصبح الحاضر والمستقبل القريب والبعيد رهائن دائمة للطروحات السالفة ، دون استشعار لتغيير الزمن وتبدل التحديات.. ويبيدي بعض المفكرين الأمريكيين فلقهم من هذه الظاهرة وصعوبة المرحلة التي تواجه العصر بعقلية التصفية والتصفية المضادة بين النخب المؤثرة ، في الوقت الذي تسبق الجموع والجماهير النخب في استشعار الخطر وتلمس المصاعب.. «الفرد أصبح مهدداً في أعز ما يملك.. حلمه الأمريكي في حياة مرهفة..! إنه يفقد وظيفته ليطير إلى بلدان أخرى كال Seksik ، وهو يرى تراجع مستوى المعيشة والرخاء في الولايات المتحدة ، وهو يشاهد عدم استطاعته دفع مصاريف العلاج وصرف غائلة المرض.. ثم يتراءى المأزق شاملاً في أحداث لوس أنجلوس التي كشفت عن وجوه أمريكا البشعة.. ثم يتربّ أن تفعل المؤسسات الحاكمة شيئاً لتغيير هذه الصورة القاتمة فلا يرى سوى اهتمام من النخبة الحاكمة - حكومة وشركات - بمصالحها الخاصة والشخصية..! إن هذه اللامبالاة على مستوى القيادات هي التي تحرك الغضب الشعبي وترفع من حرارة مشاعر الناخبين ، وربما أدى هذا إلى كارثة هائلة تتمثل في مأزق شرعية الوضع الراهن!!(٣) هذا المقطع يطرح مأزق الدائرة المفرغة التي تدور حولها معركة الانتخابات »التي تدور حول شعارات رنانة دون وجود مادة خلفها«!(٤) كما يقول النائب بيتر دوفنشي. لقد استند الليبراليون والمحافظون طروحاتهم حول المشكلات ذاتها ، وأصبحت السنوات الثلاثون الماضية فصلاً في الردود والردود المضادة ، فالجمهوريون في هذه الانتخابات طروا شعار القيم العائلية ، مقابل طرح الحرية الشخصية للبيرونيين ، ويتفرع عنها قضية الأجهاض التي نجحت القوى الليبرالية قبل ٣٠ عاماً في إجازته قانونياً ، وأصبح تحريره برنامج عمل مكثف لليمين خلال الثمانينات.. وكما كانت قضية الأقليات وحقوقها مادة النزاع الأهلي في الستينات حينما نال السود بعض الحقوق النظرية كانت فترة حكم الجمهوريين مرحلة تجميد لهذه الحقوق عملياً وتركيز على هيمنة الرجل البروتستانتي الأبيض كما تكشف أحداث الشغب في المدن الأمريكية عن حالة من الغضب من العبن العنصري الذي أتى به ريجان ومن بعده بوش.

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

أما السياسة الخارجية لأمريكا - بعد انقشاع الحرب الباردة - فقد ظلت أسيرة حرب فيتنام التي جرت في العقد السادس ، ويرى العديد من المراقبين أن جزءاً هاماً من دوافع التدخل الأمريكي في الخليج ينطلق من شعار الرئيس الأمريكي : « لا فيتنام أخرى بعد الآن No more Vietnam » والذي يؤكد طرح اليمين الأمريكي بأن التدخل والتتوسيع على الساحة الدولية ضروري للفيما بالدور الاستعماري الكفيل بتنشيط الاقتصاد والثقافة الأمريكيةين ، ولو تم ذلك بصورة مباشرة ومكشوفة ، وهذا ما يعارضه قطاع من الليبراليين. إن حرب الخليج شاهد على التخلص من عقدة فيتنام إلى الأبد ، ومؤشر على ضرورة التدخل في المناطق التي تشكل جزءاً هاماً من مناطق النفوذ والأمن الأمريكي في العالم ، أما قضية إصلاح الاقتصاد الأمريكي المتغير فإنها تظل حبيسة الظروف القديمة والمتمثلة في رفع أو خفض الضرائب والإتفاق الحكومي ، مما يؤكّد شعور الناخب والمراقب الأمريكي أن ما يعرض عليه من قضايا لا يعدو أن يكون تكراراً مملاً لتحديات السبعينات .. مرحلة الفورة والبريق المفقود ، وإن السياسيين في كلا الحزبين يصرّون على عدم الخروج من شرقة الماضي وطروحاته ، عاجزين عن التصدي لتحديات اللحظة.

ما هو البديل؟

إذا كان المرشحون الحاليون لا يملؤون الفراغ الذي يحس به الناخب الأمريكي ، فما الذي سيملأ هذا الفراغ وذلك الفضاء المتسع؟

ابتداءً يجب التأكيد على نقطة هامة وجوهية وهي أن هذا الخليط العجيب من الأعراق والديانات يجمعه هاجس «الفكرة الأمريكية» التي تقوم على عبادة الدولار والحرية الشخصية.. في مجال الحرية الشخصية يتمتع الفرد الأمريكي بها من حيث كثرة منها ما دامت لا تتتطور إلى «فكرة متحركة» تهدد الوضع القائم على الهيمنة البيضاء بشقيها المتحرر والمحافظ وثقافتها المسيحية/اليهودية ، كما يجمع المرشحان الحاليان بوش وكلنتون.. إن مرحلة تسبيس الفرد الأمريكي التي مرت بسرعة خلال العقدين السادس والسابع حالة طارئة ، استنفرت المؤسسة الحاكمة جناحيها المحافظ والمتحرر لكبحها ، بالرغم من أنها تستمد جذورها الأصلية من القيم الأمريكية ، ولذا فإننا نرى أن الفرد الأمريكي هو الأقل تسبيساً ومشاركة في القرار مقارنة بالدول الصناعية الأخرى ، وهذا ما يفسر جزئياً انحصار العملية السياسية فعلياً في حزبين فقط يتقاربان كثيراً في مسألة إبعاد الجماهير عن السياسة وإطلاق الحريات الضرورية ما دامت في خانة الأحاد المبعثرة..

أما الدولار - المعبد الأمريكي الأول - فإنه يعبر عنه بعبارات أكثر لباقة فهو أحياناً يسمى «الاقتصاد» وأخرى «المصالح» وثالثة «بالعمل» ورابعة «بالأمن القومي» «خامسة» «بالمناطق الاستراتيجية» ولكن كل هذه التعبارات والمصطلحات تجمع على عبادة المال وتقديسه ، وهو ما يلخصه بعض المفكرين الأمريكيين «بالحلم الأمريكي» حيث الحرية الفردية الممتزجة بالراتب الوفير ، والسيارة الفارهة ، والبيت المملوك ، والمتاع المتوفر.. هذه هي أمريكا حتى بالنسبة للحالمين بالهجرة إليها: فرصة جديدة. لتحسين الدخل... ولذا فإن العديد من الناخبين الأمريكيين يرون في الدولار الهاوب أزمة الأزمات وأخطر المخاطر التي يواجهونها ؛ لقد تعود جيل الطفولة الذي ولد بعد الحرب العالمية الثانية أن يجد عملاً مستمراً ، وأن راتبه يزيد سنويًا وأن يتمتع بالمال المدخر الذي ينمو باستمرار.. وفجأة وجد أن هذه المسلمات قابلة للنقص.. وهذا «يتعلق الأمريكيان بالاقتصاد والمال بلهفة حتى المسائل الاجتماعية تجد جذورها المادية/الاقتصادية ، فمشكل العلاج الصحي والتعليم ، والجريمة والمخدرات ينظر إليها من منظور فردي مادي ، حيث يشعر الناس أنهن مهددون بالطرد من العمل ، وعندما لن يجدوا العلاج المجاني ، وهذا ينسحب على التعليم حيث أن ٨٨% من الأمريكيان يؤمنون أن التعليم الجماعي ضرورة لحياة كريمة ، ولكنهم يرون أن أقساط

هديه لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

الجامعات تتعدى معدل الدخل والتضخم ، ويقلقون وبالتالي على مصير أطفالهم وكم سيدفعون لضمان تعليمهم.. وغالبية الجموع ترى أن المخدرات والجريمة من نتاج الفقر وتراجع الاقتصاد.. حتى السياسة الخارجية التي يؤمن أكثر من ٧١% من الأميركيان بضرورة الاستمرار في تسيير دفتها العالية تصبغ برداء المادة والمصالح الاقتصادية بعيداً عن نظريات الحرب الباردة ومحاربة الشيوعية وموازنة القوى.. يجب إعطاء الجانب الاقتصادي أهمية بالغة في قدر وحجم التدخل الخارجي مستقبلاً بما يضمن استمرار الرفاهية والترف المعيشي.. أما المناطق الأقل اجتذاباً وفقراً فيرى الأميركي أن رداً جماعياً تقوم به الأمم المتحدة ربما يرفع الحرج عن الرد الأميركي المطلوب تجاه هذه المعضلات»^(٥).

إذن فالبؤنة تذبح لسنوات.. لا تعني الفرد الأميركي لأن البترول غير متوفّر هناك.. وبما أن الضحايا في عصر الارتداد إلى الماضي - زمن الشحوب الحضاري - لا يمثلون امتداداً حضارياً (يهودياً مسيحياً) لهذه الأمة.. والمحصلة النهائية مخزون هائل قائم على الماضي بأعوائه ورموزه وشخوصه يقف المسلمون في مقدمة القائمة المستهدفة ، ورغبة دفينه في الحصول على الموارد والمواد الأولية والاستثمار في اقتصاد قائم على توظيف الأموال الأجنبية وجنوح نحو غسل عار فيتنام. كل هذا لا يتم على مستوى النخب الحاكمة التي لها سجل طويل مخز في صنع المخاطر والتلاعب بتوجهات الجماهير إنما.. يأتي هذا الشعور المتنامي من القاعدة اللاهثة للمال والدولار والمغامرات الخارجية التي وصفها شوارزكوف في مذكراته بقوله :«هناك في واشنطن يقف صانعوا القرار الذين أدمروا مشاهدة أفلام البطولات الأمريكية السينمائية يمتلئ صدر الواحد منهم ببطولات رامبو الأميركي الذي يسحق الآخرين الأشرار في الوقت الذي لم يطلق أحدthem رصاصة في حياته إلا أنه يشعر أن بإمكانه اتخاذ قرار الحرب الشاملة بكل بروء..» نعم بكل بروء ما دامت الأوصاف التي يطالب بها الناخب الأميركي اليوم هي الاستعمار البشع المكشوف ، وما دام الضحايا الذين تتطبق عليهم شروط الذبح الأمريكية منطقة واحدة محددة : العالم الإسلامي.

بالأمس كانت النخب المسيطرة والحاكمة في الولايات المتحدة تبرز مخزونها العنصري ، لا سيما حينما بدأ الحرب الباردة تضع أوزارها.. حينها بدأت الهنافات الحارة والداعوي المزيفة تستتر الغزو الأميركي بشعارات مثل : المسلمين قادمون الخطر الأخضر، المارد الأصولي يتململ ، محاربة التطرف الإسلامي ، وأد الإرهاب المحمدي.. وغيرها من الشعارات التي تقنن اليمين الديني الأميركي في الدعاية لها والدعوة إليها.. أما اليوم فإن الفرد الأميركي البسيط يرى في معركته المحتملة مع مناطق الاكتتاز الاقتصادي مصيرًا لتحسين مستوى دخله دون أن تدفعه قوة عقائدية أو رأية صليبية.. وإن كانت ضرورية حين تشن الحرب المقدسة لعوامل عدة أبرزها إضفاء الشرعية على التحركات الشريرة المقبولة...

الجديد في الطرح الأميركي هو قوة الدفع الشعبي المنطلق من عقيدة عبادة الترف والذات للتلقى في نقطة ما مع ما يدعو إليه غلاة اليمين الديني الجديد..

الهوامش :

١- ABC ١٩٩٢/٩/١٢ .

٢- CBS شالنجر ١٩٩٢, ٨/٧

٣- بتصرف.. دانيال يانكلوفتش ، فورين أفيرز خريف ١٩٩٢ م .

٤- ديوني : لماذا يكره الأميركيان السياسة ص ١٠٠ .

٥- فورين أفيرز خريف ١٩٩٢ .

طب أطباء الغرب .. يذرون من شرب الخمر

د. حسان شمسى باشا

الإدمان على المسكرات مشكلة يعاني منها الغرب ، ويعاني منها البعض في بلادنا العربية والإسلامية. وإن ما يدعون إلى الأسف الشديد أن نشاهد ازدياداً في شرب الخمر في بلادنا الإسلامية ، في الوقت الذي يدعون فيه الغرب إلى الابتعاد عن المسكرات.

تقول دائرة معارف جامعة كاليفورنيا للصحة (طبعة ١٩٩١) : «يعتبر الخمر حالياً القاتل الثاني - بعد التدخين - في الولايات المتحدة. فشرب المسكرات في أمريكا سبب موت أكثر من ١٠٠,٠٠٠ شخص سنوياً هناك. والخمر وحده مسؤول عن أكثر من نصف الوفيات الناجمة عن حوادث الطرق في أمريكا (والبالغة ٥٠,٠٠٠ شخص سنوياً).

وليس هذا فحسب ، بل إن الخمر مسؤول عن إصابة أكثر من نصف مليون شخص بحوادث السيارات في أمريكا في العام الواحد. وأما في البيت ، فالمسكرات مسؤولة عن كثير من حرائق البيت، وسقوط شاربي الخمر على الأرض، أو غرقهم أثناء السباحة».

وتتابع دائرة معارف جامعة كاليفورنيا القول : «والمسكرات لا تسبب المشاكل في البيت.. أو على الطرقات فحسب ، بل إن خسائر أمريكا من نقص الإنتاج وفقدان العمل نتيجة شرب الخمر تزيد عن ٧١ بليون دولار سنوياً. ناهيك عن الخسائر التي لا تقدر بثمن من مشاكل نفسية وعائلية واجتماعية. ويحدث الكتاب في الجرائد والمجلات الأمريكية الناس على عدم تقديم المسكرات قبل العشاء - أثناء حفلاتهم - وعلى أن يصادروا مفاتيح السيارات من المفرطين في شرب الخمر، حتى لا يقودوا أنفسهم إلى الموت!!».

تذكر موسوعة جامعة كاليفورنيا في مكان آخر: «أن ثلث اليافعين في أمريكا يشرب المسكرات بدرجة تعيق نشاطه الدراسي في المدرسة ، أو توقعه في مشاكل مع القانون..! وقد بدأ معظم هؤلاء الشباب شرب المسكرات قبل سن الثالثة عشرة من العمر».

ويقول البروفسور «شوكيت» وهو بروفيسور الأمراض النفسية في جامعة كاليفورنيا ومدير مركز الأبحاث المتعلقة بالإدمان على الكحول : «إن ٩٠ % من الناس في الولايات المتحدة يشربون الخمر ، وأن ٤٠ - ٥٠ % من الرجال هناك يصابون بمشاكل عابرة ناجمة عن المسكرات. وأن ١٠ % من الرجال و ٥-٣ % من النساء مصابون بالإدمان على الكحول»(١).

ويقدّر خبراء جامعة كاليفورنيا أن ١٥ مليون أمريكي يشرب أكثر من كأسين من البيرة - أو ما يعادلها من أنواع الخمر الأخرى - يومياً. واستناداً إلى المعهد الوطني الأمريكي للإدمان على الخمر ، فإن من يشرب مثل تلك الكمية يعتبر «مفرطاً في شرب المسكرات» «Heavy Drinker»، وأن ١٨ % من هؤلاء يشرب أكثر من ٤ كؤوس من البيرة - أو ما يعادلها - يومياً ، وهذه الفئة مهددة بالإدمان الخطير على الكحول.

هذا ما يجري في أمريكا ، فماذا يحدث على الجانب الآخر من الأطلسي - وبالخصوص ببريطانيا؟ تقول مجلة «لانست» البريطانية الشهيرة : «إن مئتي ألف شخص يموتون سنوياً في بريطانيا بسبب المسكرات». وذكرت المجلة البريطانية للإدمان «British Journal of Addiction» أن الخسائر

هديّة لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

الناجمة عن مشاكل الكحول الطبية بلغت ٦٤٠ مليون جنيه استرليني في العام الواحد. إن الخسارة الإجمالية الناجمة عن شرب المسكرات تقدر بـ ٢٠٠٠ مليون جنيه استرليني في العام الواحد. وذكرت هذه المجلة أيضاً أن ١٢ % من المرضى الذين يدخلون المستشفيات في بريطانيا ، يدخلون بسبب مشاكل ناجمة عن المسكرات.

وعودة إلى أمريكا.. فحسب ما جاء في كتاب «Cecil» الطبي الشهير - طبعة ١٩٩٢ - فإن الخسائر الكلية الناجمة عن مشاكل المسكرات في أمريكا بلغت ما قيمته ١٣٦ مليار دولار في العام الواحد. ويقدّر الخبراء أن ربع الحالات التي تدخل المستشفيات الأمريكية سببها أمراض ناجمة عن شرب المسكرات».

فحذار.. حذار أيها المسلمون ، قبل أن يستشري فيما الداء الذي يريده لنا الغرب. فالأفلام والمجلات الخليعة تدعى الناس صباح مساء في بلادنا العربية إلى شرب المسكرات عن طريق إبراز الفنانين والممثلين، وفي أيديهم كأس من المسكرات ، أو عن طريق الدعايات والمقالات.

ويظن بعض الناس أن شرب قليل من المسكرات أمر لا بأس فيه. ولكن هذا غير صحيح. وقد نبهت على خطورته مجلة «لانست» الطبية ، فتقول في عدد صادر لها عام ١٩٨٧ : «لقد تبين أخيراً أن معظم الوفيات والاختلالات الناجمة عن الكحول تحدث عند الذين يظنون أنهم لا يشربون الكثير من الخمر ، وعند أولئك الذين كان يظن أطباؤهم أن ما يتناولونه من المسكرات ما هو بالكثير، بل هو في حكم المقبول في عرف المجتمعات الأمريكية والأوروبية».

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم- كان ليغفل عن ذلك ، فقال حديثه المشهور: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» (٢).

المسكرات.. والقلب :

زعم البعض من الأطباء أن القليل من الخمر قد ينقص نسبة الوفيات من جلطة القلب. ولكن مقالة رئيسية في مجلة «لانست» البريطانية (صدرت عام ١٩٨٧) فنّدت هذه المزاعم ، يقول كاتب المقال : «إن ما يدعيه بعض الأطباء من أن الكحول قد يكون مفيداً إذا ما أخذ بجرعات صغيرة إنما هو محض كذب وافتراء». وتقول المقالة أيضاً: «إن الدراسة التي يستند إليها هؤلاء دراسة غير موثوقة ولا يعتمد بها». ويتابع كاتب المقال القول : «وخلصة القول أن على الأطباء أن يبلغوا الناس رسالة واحدة فقط وهي : أن الكحول ضار بالصحة».

ويقول البروفسور «شوكيت»: «إن شرب ثلاث أو أربع كؤوس من البيرة يومياً يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم، ولهذا يعتبر الخمر حالياً سبباً هاماً من أسباب ارتفاع ضغط الدم. ويؤدي شرب الخمر إلى «اعتلال العضلة القلبية»، وما ينجم عنها من توسيع في حجرات القلب وقصور (فشل) القلب. فيصاب المريض بضيق نفس لدى القيام بأي مجهود. وقد تتشكل جلطات في الجهة اليسرى من القلب. وهناك بلا شك علاقة وثيقة بين حدوث السكتة الدماغية Stroke، وبين شرب المسكرات. ويسبب الكحول اضطراباً في ضربات القلب ، مما يسبب تسرعاً شديداً في القلب. وقد يحدث ذلك عقب شرب الخمر مرة واحدة فقط».

المسكرات والسرطان :

يعتبر السرطان حالياً القاتل الثاني عند شاربي الخمر (بعد جلطة القلب) ، فنسبة حدوث السرطان عند شاربي الخمر تفوق بعشرة أضعاف ما هي عليه عند الآخرين. والأعضاء التي يزداد فيها حدوث السرطان - حسب أحد الإحصائيات - هي : سرطان الرأس والرقبة ، والمريء ، والمعدة ، والكبد ، والبنكرياس ، والثدي.

المسكرات والغذاء:

يعطي الغرام الواحد من الكحول سبع سعرات حرارية ، وهكذا فإن شرب ١٠ - ٨ كؤوس من أحد المشروبات الكحولية يمكن أن يعطي ١٠٠٠ سعرًا حراريًّا في اليوم. ولكن يجب الانتباه أن هذه الحراريات خالية (Empty) من أي عناصر غذائية كالبروتين أو المعادن أو الفيتامينات.

وجاء في كتاب «هاريسون»:

«فكل الفيتامينات يعاق امتصاصها في الأمعاء عند شاربى الخمر ، وتسجل ذلك نقصاً في الفيتامين ب١ ، ب٢ ، حمض الفوليك ، والفيتامين (أ). ويحدث عند شاربى الخمر نقص في البوتاسيوم.. يمكن أن يؤدي إلى شلل دوري في العضلات وانعدام المنعكسات. ونقص المغنيزيوم.. يمكن أن يسبب اضطراباً في الإدراك وأعراضًا عصبية أخرى. ونقص الكالسيوم.. يؤدي إلى تكرر وضعف عام. ونقص الزنك.. قد يسبب اضطراباً في الأعضاء الجنسية ونقصاً في الشهية ، وضعفاً في مناعة الجسم. ونقص الفوسفات.. يمكن أن يجعل فشل القلب يتفاقم ، ويسبب اضطرابات في الدماغ.. وضعفاً في العضلات.

المسكرات.. والجنس :

يقول البروفسور «شوكيت»: قد يلاحظ بعض شاربى المسكرات ازدياداً في الشعور الجنسي لدى تناول كأس أو كأسين من المسكرات. ولكن ينسى هؤلاء أن ذلك يمكن أن يسبب العنة عند الرجال (ضعف القدرة الجنسية). وينسى هؤلاء أيضاً أن شرب المسكرات قد يؤدي إلى ضمور الخصيتيين ، وقدان النُطف.

كما أن شرب المسكرات عند النساء يمكن أن يؤدي إلى انقطاع الطمث ، ونقص في حجم المبايض، وما يتبع ذلك من عقم، أو إجهاض تلقائي.

وشرب المسكرات أثناء الحمل يؤدي إلى مرض يسمى (تناذر الجنين الكحولي) «Fetal Alcohol Syndrome». ويصاب الجنين فيه بآفات خلقية في القلب ، وتشوهات في الوجه، واضطراب في المفاصل ، وتختلف عقلي شديد. ولا تعرف كمية المسكرات ولا الوقت الذي تكون الحامل فيه عرضة لإصابة الجنين بهذا المرض. ولهذا يصر الباحثون على أن تمنع الحامل عن المسكرات امتيازاً تاماً».

المسكرات.. والدماغ :

إن سهرة يقضيها شارب الخمر في شرب المسكرات يتبعها فقدان وعي «Blackout» في كثير من الحالات. ويدرك البروفسور «شوكيت» أن هذه الظاهرة قد تصيب بها ٤٠ - ٣٠ % من الرجال في سن العشرينات في أمريكا خلال فترة من الفترات. ويسبب الإدمان على المسكرات اعتلالاً في الأعصاب المحيطية عند ١٥-٥ % من شاربى الخمر. ويشكو فيها المرضى من الدخدر والتنميل في الأطراف. أو قد يصاب المدمنون على المسكرات بتناذر كورساكوف وفيه يصبح الإنسان غير قادر على أن يتعلم الأشياء الجديدة ، ويفقد الذاكرة ، ويختلف فيها المريض قصصاً وأحداثاً وهمية لم تقع من قبل. وتحدث علامات ضمور الدماغ عند ٥٠ % من المدمنين على الكحول.

ويقدر الباحثون أن ٢٠ % من المصابين بالخرف كانوا من المدمنين على الخمر.

المسكرات.. وجهاز الهضم :

كثيراً ما يصاب شاربوا الخمور بالتهاب في المريء أو التهاب في المعدة. ويعتبر التهاب المعدة أكثر الأسباب شيوعاً لنزيف المعدة عند شاربى المسكرات ، وقد يحدث النزف الهضمي نتيجة دوالي المريء (بسبب تشمع الكبد).

والمسكرات سبب شائع لالتهاب البنكرياس. كما أن الكبد يصاب بالالتهاب.. أو بالتشمم (Cirrhosis) ، وهو مرض خطير غير قابل للتراجع.

أتعجب بعد هذا كله من تحريم الإسلام للمسكرات؟! حتى للقليل منها !؟ ألم يقل رسول الإنسانية عليه صلوات الله وسلامه : «كل مسكر حرام ، وما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام»(٣).

ثم ألم يحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم- من الجلوس على موائد الخمر لأن ذلك قد يعرض أصحابها لمسايرة الجالسين ، فربما ذاقها للمرة الأولى ثم تبعها جلسات وسكرات. «نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر»(٤).

((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذْكَرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ))

الهوامش :

- ١- عن كتاب هاريسون الطبي طبعة ١٩٩١،
- ٢- رواه أحمد وأبو داود والترمذى (صحيح الجامع الصغير ٥٥٣٠).
- ٣- رواه داود والترمذى (صحيح الجامع الصغير ٤٥٥٢).
- ٤- رواه أبو داود والترمذى (صحيح الجامع الصغير ٦٨٧٤).

بين المطرقة والسدان

أحمد أبو لبن

إن رحلة الحياة حلقات متصلة من الحوادث والموافق ، والأفراح والأتراح ، والإنجازات والإخفاقات ، تمر كشرط متباع المشاهد ، يعتصر العاقل الفطن منها الحكمة والعبرة.

زارني - في هذه المرحلة من الحياة - أخ حبيب في بلاد الغربة ، قادم من بلاد المسلمين ، جمعتنا جلسة على مقاعد للنزهة على ضفاف إحدى بحيرات (كونهاوغن) ، وتبادلنا أطراف الحديث دون سابق إعداد أو تخطيط ، . بادرني قائلاً: الآن بعد أن قضيت عقداً من السنين في مهد الحضارة الغربية ، وراقبت الأحداث تتلاحم على أمتنا وهي لا زالت في عناها وبلاها ؟ ما هي خبرتك الجديدة ، وكيف ترى هذه المرحلة التي نعيشها؟ فأنت هنا في مأمن بعيد عن دوامة الصراع ، قريب من مصادر الإعلام ، فنحن نغبطكم على هذه الفرصة.

أجبته مداعباً - كعادتي معه - أتأذن لي بالإجابة مع التفصيل الممل؟! فأجاب مداعباً: خذ راحتك ، فعلم العجلة؟ لقد تخطينا سن الشباب!

فقلت : نبدأ بذكر الله والصلوة والسلام على رسوله الكريم - فنحن هنا في بلاد الغفلة والإلحاد ، والجو شيطاني يعي بالشهوات والمعاصي - وللإجابة على سؤالك نقسم تاريخ أمتنا إلى مراحل ، لكل منها عنوان أو شعار حتى نصل إلى الجواب. ولنبدأ بالمرحلة الأولى للدعوة الإسلامية في مكة وفي موقف النبي صلى الله عليه وسلم- من إغراءات قريش حتى يتخلص عن ما جاء به ، وكيف أنه لم يثنه ترغيب ولا ترهيب عن دعوة التوحيد والثبات عليها. وبعد بناء الحضارة الإيمانية على أساس راسخة يحسن بنا أن نقتطف ، شعاراً من خطبة حجة الوداع عنواناً لاكتمال تأسيس الدولة في المدينة المنورة : «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام».

تجاوب مستمراً في حواره : شعار جميل ، دقيق جداً ، لكن يا حسراته! أين نحن منه اليوم؟ أموال المسلمين وأراضيهم نهب مستباح ، أو تسخر لسفاك دمائهم واستباحة أعراضهم ، لقد بلغت المأساة الذروة ، وتجاوزت حدود الخيال.

ثم أكملت : أما مرحلة الصديق فإن شعارها هو شعار الإصرار على الحق وقت الشدة الذي يلخصه موقفه يوم الربة : «والله لا أزال أقاتلهم حتى تنفرد سالفتي» .

قال صاحبها : تعني إصراره على تسيير الجيوش لحرب المرتدين ، وأن الخلافة الراشدة هي اتباع لمنهج النبوة دون تنازلات ، قلت : نعم هو كذلك .

ثم مرحلة خلافة عمر - رضي الله عنه - الذي جعل نقش خاتمه : «كفى بالموت واعظاً يا عمر» حيث الأمان مستتب ، والعدالة قائمة ، والأمة عزيزة الجانب ، وهذا الشعار يناسب حالة الحاكم الحذر من أن يفتتن بنفسه .

إننا حينما نتذكر هذه المواقف المجيدة وأمثالها من تاريخنا المجيد نبرأ ونعتذر ، كما فعل الصحابي الجليل أنس بن النضر في غزوة أحد ، بينما رأى المسلمين يتراجعون ، والمشركين مستبسين من أجل باطلهم ، فقال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (أي المسلمين) وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء (أي المشركين) .

إن هذا هو التعبير الصادق عن تراجع وارتباك مشروعنا الإسلامي في كل مجال ومكان ، الذي نعتذر إلى المولى منه ، وتكلّب وشراسة قوى الباطل بمكرها ونذالتها ، الذي نتبرأ إلى الله منه .

قال : تعني أن الظروف المحيطة بنا تتلخص في : تفوق الكافرين ، وعجز المسلمين .

قلت : نعم ، فنحن في بلاد المسلمين نعاني مشكلة واحدة ونحمل هماً واحداً هو تخلف الأمة أفراداً ومؤسسات بسبب انحرافها عن منهج الإسلام ، وهذه هي «المطرقة» التي يجب على المسلمين في بلادهم الصبر على آلامها ، ونحن هنا في بلاد الغرب والغربة - أعني المسلمين المهاجرين - نعاني من آثار هذه الحضارة المادية المتعددة لحدود الله ، الجادة لوجوده . فغوروها وتعاليها هو «السندان» الذي يضاعف الأمم المطرقة على رؤوسنا في بلاد الغربية . وما ندري : هل نشتكي ونعتذر عن المشروع الإسلامي الذي يتعرض للإجهاض مرة بعد مرة ، أم عن الجاليات الإسلامية التي وفدت بكل مشكلاتها وتشرذمها؟ أم نتبرأ من حضارة مادية كافرة تمول البحوث ، وتتجز المخترعات ، وتحافظ على مصالح شعوبها وتحترم حرية الرأي لمواطنيها! .

قال : على الرغم من المعاناة والمكافحة فإن التشاوُم مذموم العواقب ، والمسلم لا ينبغي له أن ييأس ، فمهما ذاق المسلمون الآلام بين المطرقة والسندان ؛ فإن ذلك يجب أن لا يثنّيهم عن العمل والثبات على ما هم فيه من الحق .

إنني أرى تباشير الفجر وعلامات النصر تلوح في الأفق فهيا بنا لأشتري خاتماً من فضة، لا لننقش عليه عباره: «أبراً وأعتذر» ولكن لننقش عليه شعار المستقبل: " جاء الحق وزهق الباطل".

مكتبة البيان

إعداد: سليمان الميداني

• العواصم والقواسم في الذب عن سنة أبي القاسم ، للإمام ابن الوزير

قام بتحقيقه تحقيقاً علمياً دقيقاً الأستاذ الفاضل الشيخ شعيب الأرناؤوط بتسعة مجلدات طبع ونشر مؤسسة الرسالة بيروت ، وهو كتب نافع ومفید في بابه .

• معالم التنزيل (تفسير البغوي) لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي

قام بتحقيقه : عثمان جمعة ضميرية - محمد عبد الله النمر - سليمان مسلم الحرشن . وقد سلك فيه مصنفه منهج التفسير بالتأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام .

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

والكتاب من ثمانية مجلدات من الحجم الكبير.

• التدليس في الحديث : حقيقته - أقسامه - أحكامه - مراتبه والموصوفون به .

تأليف الدكتور مسفر بن غرم الله الدمني الأستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

• كتاب النظائر

للسيد بكر أبو زيد

وهو دراسة مفيدة قيمة لموضوعات عديدة حري بطالب اسم الوقوف عليها وهي:

- ١ - التحول المذهبى.
- ٢ - العلماء العزاب.
- ٣ - الترافق الذاتية.
- ٤ - لطائف الكلم.

وهو من طبع دار العاصمة بالرياض.

• الموطأ للإمام مالك

برواية أبي مصعب الزهرى المدنى تحقيق بشار عواد معروف ومحمد محمد خليل.

الكتاب من جزئين طبع مؤسسة الرسالة بيروت.

منتدي القراء أختاه .. فلتتحذر

بعلم : أم سلمان

إلى كل حرة أبية ، تأبى الضيم وترفض أن تكون تابعة للعبيد وأداة لتحطيم الأمة.. أتوجه بهذا النداء...

أختاه.. أناديك هل تسمعني؟ أصرخ إليك ، هل يصل إليك صوتي؟

إن القوم يأترون بك ، بل إن العالم يتأمر عليك ، اليهودية المفسدة ، العلمانية الكافرة ، الكل قد حشد الحشود لفتنتك ، الكل قد جمع العقول لإغواتك ، الكل يطاردك ، يريد الذل لنفسك، إنه حزب الشيطان يريد لينزع عنك لباسك لتبدى سوأتك وعوراتك، ويدعك خلقاً مشوهاً ممسوخاً فتضلي في نفسك وتكوني لمن خلفك فتنة، وينهم صرح الأمة، وتشيع الفحشاء وتبتع في إثرك الرجال ، وتغوص الأمة في بحر الشهوات.. فهم ((وَدُوا لَوْ تَكُفُّرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً)).

ها هم يهود يقفون وراء بيوت الأزياء والمواضات يزينون من خلالها الفجور والعربي فتفسد الأدب ، وتصب في جيوبهم الأموال.. ها هم يزينون الفحشاء.. في الأزياء العارية ، والأفلام الساقطة والمسرحيات الهرزلية الفاجرة، في المجلات الدنسة والصحف العميلة، في المقالات العارية من كل حياء ، في القصة اللئيمة ، في المسلسلات والبرامج الهابطة..

فهل تتصررين لنفسك وتثارين لدينك ، هل تفقيدين وترتفعن فن تلك الهوة السحيقة التي زينها لك الماكرون؟ فقط أذكرك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم- الذي يقول فيه: «صنفان من أهل النار لم أرهما:.. ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها... الحديث». فهل ترضين لنفسك هذه الحال؟! أم تتصررين لدينك ولإنسانيتك التي كرمها الله ، فتعود الصورة الوضيئه للمرأة المسلمة العفيفه الطاهره النقية

المتوسطة الراكعة الساجدة.. صورة الأم في نضارتها ومكانتها ، صورة الحرية لا الأمة المستعبدة لكل الأهواء..
أتمنى أختاه.. أن تعودي ، فنحن هنا في انتظارك في شوق على باب الإسلام الكريم.

كلا لا نعود

إبراهيم كامل

بين طيات الزمن نعيش، نعيش حياة بسرورها وحزنها وفرحها وغضبها ، بمشكلاتها
واضطراباتها.. نعيشها إحساساً ومشاعر ، وعواطف - وهو جس ، انحرافاً واستقامة ، نسياناً
وتذكرة ، قوة وضعفاً..

هذا ويوم القيامة تتضاعل من حسنا هذه الليالي والأيام تمر وكأنها لحظة من نار فلا يبقى من كرب
مكروب ، أو فرح مبهج ، أو فقر فقير ، أو غنى غني ، فمن تلذذ بلذة فقد التذها وانقضى ، ومن
نصب ومن صبر فقد انتهى تعبه ونصبه وصبره ، فأشد الناس عناء بانتهاء عنائه لم يبق له من
العناء شيئاً ، وأشدهم رغداً وابتهاجاً بزوال رغده عنه لم يبق له من الرغد شيئاً.

هذا وإنها الآن لكلمات ولسوف نذكر هناك عملنا اليوم ، سوف نذكر اهتماماتنا اليوم ، سوف
نذكر ما يقعدنا من شهوات ورغائب ، سوف نذكر ما يلهينا من صغائر ، ولهم سندم ، ولهم
سنأسى ، ولكن ترى هل سينفع الندم؟ هل سينقطع العذاب؟

تخيل.. أنت الآن هناك تقف بين يدي ندم وأسى على ما فرطت وحيرة واضطراب هل من مرد؟!
أنت الآن هناك تقف بين يدي ربك في سبيل جلتك على جانبك ولحم وجهك من الخزي ..
يومها نود أن نرجع.. أن نعود.. نعود فنكفر بالذين يبتلون دين الله يحلون حرامه ويحرمون
حاله ، نعود فنفرز لتلك الدماء تسيل من الأمة الأمة التي تذبح ليل نهار مرات ومرات ، على
مذابح الوطنية تارة ، والقومية تارات ، على مذابح الاشتراكية تارة ، والديمقراطية والعلمانية تارات
، وغير ذلك من المذابح كثير.

ننتمي يومها أن نعود.. وأنى لنا أن نعود ، وقد أخبرنا أنها إذا ولت لا تعود.
نعود! وقد كنا نضحك ملء الأفواه والله سبحانه وتعالى غضبان.

نعود! والله سبحانه وتعالى يغار على محارمه وسلطانه المغصوب! وكنا لا نغار.

نعود! والأرض كانت تئن ، والسموات يبكيين والجبال تكاد تنهر من ظلم الإنسان، وجوره على ربه
العزيز الجبار.

نعود! والقدس القابع خلف القضبان يبكي أمة قد كان لها مجد فأبى إلا الخذلان..

نعود! وقد كانت حرمات الله تصرخ فينا.. تصرخ أن كفوا بأس الطغيان .

نعود! كلا..! يأبى عدل الرحمن.

نداء.. نداء إلى الذين يتضاغون لغربة الإسلام.. أن اصبروا واثبتوا... فإن لقاء الله قريب.

ونداء إلى الذين يهملون ويضعفون ويميلون إلى خيانة الطريق ، أيضاً إن لقاء الله قريب.

ونداء أخير إلى الذين استحبوا الحياة الدنيا ورضوا واطمئنوا بها، أيضاً إن لقاء الله قريب.

وإن أجل الله لآت وما أنت بمعجزين ، وإنما توفون أجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار

وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متع الغرور.

وعاودني الحنين .. !!

عزيزة بنت عبد الرحمن النصار

كان مشهداً رائعاً من مشاهد الشتاء ، فالسماء ملبدة بالغيوم ، ووابل المطر يرسم على لوحة الأرض جداول تتدفق في أنهار المدينة، وحفيق الأشجار يملأ الكون بتراويم عذبة، آه...!! ما أروعك من مشهد!!.. قالها - باسل - وهو يتنهد من فرط الحزن، فقد نكا ذلك المشهد - جرحاً قد اندمل منذ مدة - رضاء بقضاء الله وقدره.

ثم تابع يقول : رباه!! أو أحرم أن أرى مثل هذا المشهد في قدسي؟ في خليلي؟ في منبع طفولتي ، ومهد أدراجي؟ إنَّ لهيب الشوق يتاجج فيَّ ، كلما طويت شريط ذكرياتي ، لأنعش ذاكرتي بمنظر سماء أرضي الصافية ، وأرضها التي كساحتها المطر حلة خضراء وأشجارها المصطفة على جوانب الطرق ، وعلى سفوح الجبال والهضاب ، كم تاقت مسامعي لسماع حفيتها عند هبوب الرياح ، وشم رائحتها مع نسيم الصباح ، والجلوس تحت ظلها بعد العناة.

توقف قليلاً ثم أردف يقول : رباه!! دخان التشرد يخنقني ، ومعول الغربة يقصمني ، رباه !! إلى متى سأظل هكذا؟! مدحوراً عنِّي وطني؟ منبوذاً عنِّي أرضي؟ بعيداً عنِّي أهلي؟ تلاحقني الويلات في كل مكان ، وتعاودني الآنات في زمن الأحزان.

تعالت على وجهه علامات الثورة والغضب ؛ حين قال : إن إسلامي في أرضي يختفي - رويداً ورويداً - خلف أستار العذاب والتشرد والضياع ، فيخرج على مسرح بلادي أحفاد القردة والخنازير، ليتمثلوا دور البائس الفقير، الذي لا يملك المأوى وما له من ظهير، فيثيرون بمكرهم وخداعهم قلوب أناس مغفلين..

بيد أنني أنتظر اليوم الذي ترفع فيه الرایة على تلال فلسطين ، فنعيد ذكرى حطين ، ونكون - فعلاً - أحفاداً لعمر وصلاح الدين.

فلسطين : إن حروفك تملأ الكون بصداتها ، فيسمعها الكون كله ؛ لكن!! لا مجيب .

بريد القراء

• الأخ عبد الله الحمد

أرسل توجيهات للدعاة باكتشاف الطاقات وتوجيهها بما يلائم قدراتها إلى نفع المجتمعات الإسلامية.

• الأخ فهد العدل

أرسل توجيهات حول البدع وتقليد اليهود والنصارى في بعض عاداتهم.

البيان : نشكر للأخ خواطره في الموضوع.

• الأخ حمد على عبد الحميد

نشكر لك ملاحظاتك القيمة وسوف نستفيد منها إن شاء الله تعالى.

• الأخ محمد صالح المحيد

أرسل توجيهات يؤكدها على دور الإعلاميين في معالجة قضايا المسلمين.

• الأخ عبد الله التويجري

وصلتنا ملاحظاتك وهي محل عنايتنا.

• الأخ سليمان العبيد

قصيدتك - لا تغيبى - غير ملائمة للنشر.

• الأخ سعيد الأسمري

نعتذر عن نشر قصيدتك - لما غاب الحسام - لكثرة ما لدينا من الشعر وطول فترة انتظار النشر.

• الأخ محمد الفايز

وصل ما أرسلته لنا وشكراً على حرصك وثقتك.

• الأخ أبو عبد الرحمن أرسل مقتراً:

- تخصيص صفحة للفتاوى الفقهية وخاصة التي تختص الدعاة وطلبة العلم.

- تخصيص موضوع عن طلب العلم والقراءات النافعة.

- الكتابة عن الصحوة الإسلامية في مصر.

• الأخ سحمي بن محمد العاصمي

كتب لنا عن أثر الإيمان الباطن في عمل الجوارح، لأن كل إباء بما فيه ينضح ، فمن الناس من يحفظ أنواع الرياضة وألفاظها التشجيعية وشعاراتها ، وهذا كل همه ، وببعضهم يحفظ أسماء الغناء والمعنىين ، والشاب المسلم يجب أن يكون جاداً يحمل هموم الأمة.

• الأخ أبو سليمان

أرسل منتقداً على الأخ فهد أبو عمرو في مقاله (الطريق إلى الله) عدم ذكر مصدر ما كتبه وهو كتاب الشيخ محمد قطب (في النفس والمجتمع).

• الأخ خليل بن محمد الربيدي

أرسل مقالاً قصيراً بعنوان (العاطفة وحدها لا تكفي) يقول فيها: «هل يقف دور المسلم عند سماع أخبار إخوانه بالحزن والإشراق ، أم أن الواجب هو أن يدفعه هذا الحزن وذلك الإشراق إلى العمل والحركة لنجد إخوانه بكل ما يستطيع من جهد ومال ووقت؟».

الصفحة الأخيرة
الخير في الأمة الإسلامية
لا ينقطع

عبد القادر حامد

قرأت عبارة أثلجت صدري ، وحركت مشاعر الفخر في نفسي عن التحديات التي تواجه المسيحية في العصر الحديث ، وأن انتشار الإسلام يأتي على رأسها ، وقلت : الحمد لله الذي تكفل بحفظ دينه، يخرج من الضعف قوة، ويرد كيد الباطل على الرغم من اجتهاد أهله في نشره وتمكينه.

إن الناظر في هذه الجيوش الجرارة من المبشرين والمتطوعين الرسميين وغير الرسميين لنشر المسيحية المحرفة في العالم الفقير ، والبلاد المنكوبة ليروعه؛ - أول وهلة - حرص هؤلاء وتصميمهم، حيث يستغلون كل شيء في سبيل عقائدهم ، ويستثمرون الكوارث والنكبات، ويتجرون بما يسيء الشعوب ليفتونهم ، فيصاب المتأمل المتتابع جهود التبشير تحت اسم منظمات الإغاثة وغيرها من المنظمات التي تمهد أمامها الطرق ، وتفتح في وجهها الأبواب المغلقة، وتسند

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

من السفارات والشركات ، والمتمولين النافذين .. يصاب بالرعب ، وقد يلفه اليأس وينفض يديه من كل جهد ، اعتقاداً منه أن لن ينفع شيء أمام قوة المال المتدايق والنفوذ العاتي ، والأفواه المفتوحة التي تتشدّد البقاء ، والبقاء فقط .

هذا جانب من جوانب الصورة القاتمة التي طالما ألت على عقول المفكرين المسلمين في العصر الحديث ، وتکاد الكتابات الإسلامية تطرقها يومياً وتتناولها بالذنب والعويل .

ومع أن حقيقة الجهود المضاعفة للقضاء على الإسلام أو تشويهه في قلوب وعقول أهله قائمة ومستمرة ولم تتوقف أبداً، بل تشتت يوماً بعد يوم ؛ لكن هناك حقيقة أخرى أيضاً ، لا يحسن أن نغفل عنها ، ويشغلنا الذنب والبكاء عنها ، وهي أن الإسلام - بحمد الله - يتقدم وينتشر ، ويكتسب خبرة وتجربة ، وأن جهوداً تبذل ، وهي على قلتها - مقارنة بجهود الكفر المعلنة والخفية والناعمة ، والقاسية الغليظة - يبارك الله فيها ، وترسم الطريق لليائسين والقاطنين ، وتدعى الضعفاء والمشككين أن: دعوا اليأس والقنوط ، واحلعوا عنكم ثوب البكاء والتأسف ، وضرب الكف على الكف ، فالطريق سالكة ومسئولة ، والساحة الإسلامية - بل العالمية - تستجزم الهبة ونفض النعاس عن عيونكم ، والحدّر عن عقولكم ، والمسلمون خيرهم لا ينقطع ، وتنفجر البركة من بين أيديهم ومن خلفهم ، من حيث لا يحتسبون ، ولا ينقصهم إلا شخصيات تكون موضع الثقة ، وجهات مؤتمنة تقوم بعمل الرائد الذي لا يكذب أهله .

فلنعمل جميعاً على البحث عن هذه الشخصيات ، وإقامة تلك الجهات ، ولنستمد العون على ذلك من الله ، من الله وحده .

تمت بعون الله والحمد لله
